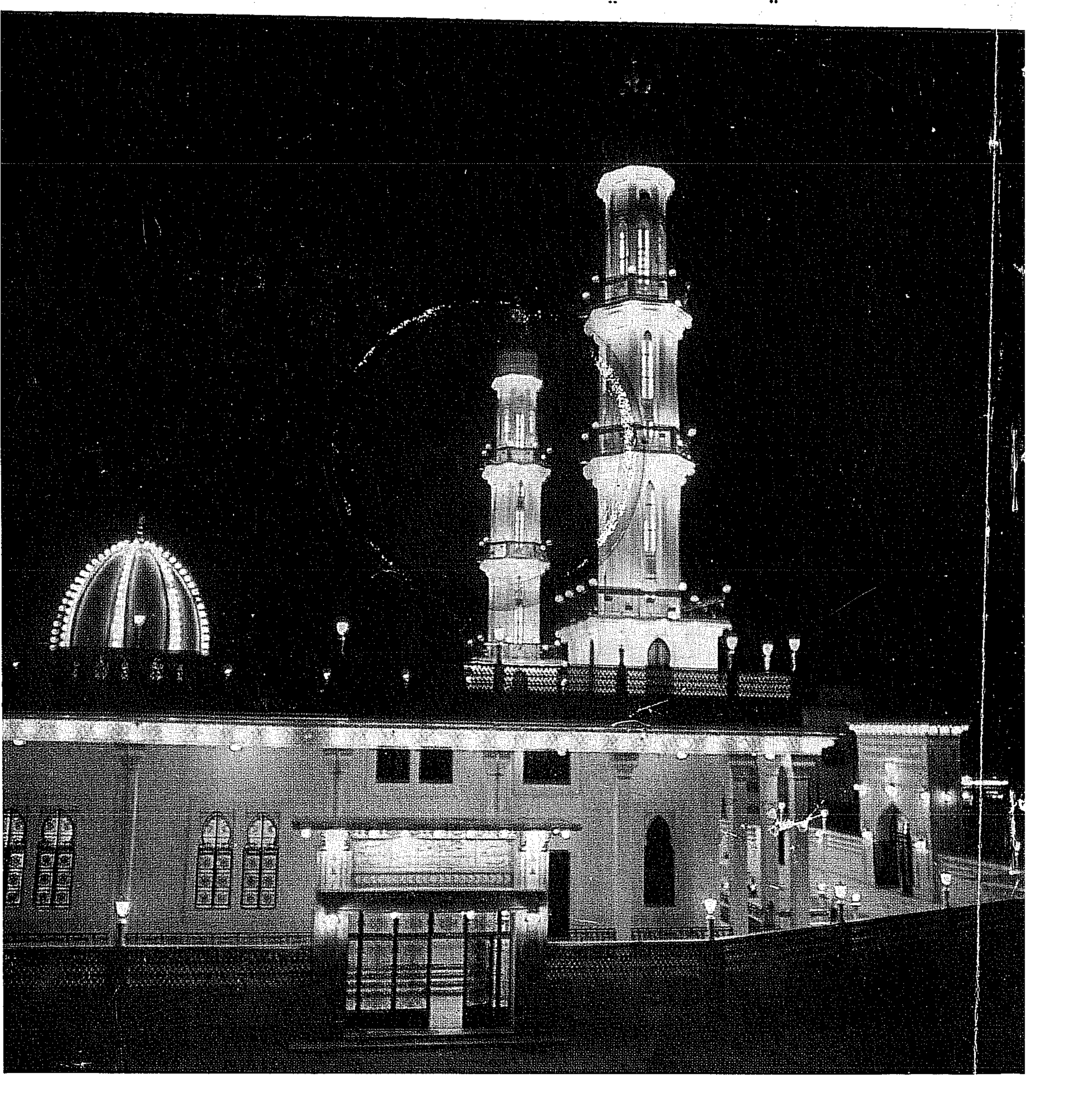
الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة الثانية ـ العدد الثاني والعشرون ـ شوال ١٣٨٦ هـ ـ يناير ١٩٦٧ م





سمو الامير المعظم وسيادة الرئيس عبد الرحمن عـارف يتقبـلان باقات الزهور
لدى وصول الضيف الكبير الى مطار الكويت



سيادة الرئيس العراقى اثناء زيارته لجامعة الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثاني والعشرون ـ السنة الثانية
غرة شوال سنة ١٣٨٦ هـ
١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

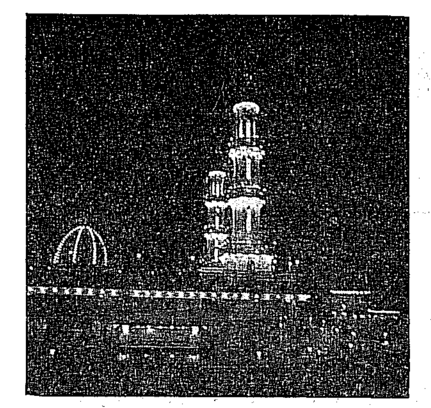
المشرف العام
عبد الرحمن المجحم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



مسجد المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان: من أفخم المساجد الحديثة بالكويت. وعلى واجهته ومئذنتيه الانوار التي تسطع طوال شهر رمضان .

الثمن

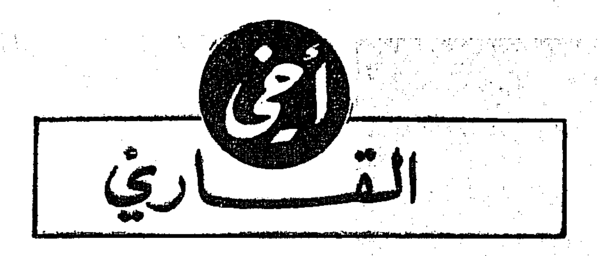
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ـ الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



كيف نخدم ديننا ؟ أو كيف نخدم مجتمعنا عن طريق الدين ؟

هذا هو السؤال الذى اختلفت وتختلف وجهات نظر المخلصين وأعمالهم فى الجواب عنه . . وكان الاختلاف فيه أمرا طبيعيا ما دامت عقول الناس وثقافتهم مختلفة ومتفاوتة . . فقد نتفق جميعا على الهدف ، ثم تختلف بعد ذلك وجهات نظرنا فى الطريق الذى يؤدى اليه ، ولكن من الضرورى بجانب هذا أن يكون مفهوما انه مهما تختلف وجهات النظر هذه فلا يقبل من أصحابها ان يتبادلوا الاتهام بالتنكر لهدفهم ، أو عدم الاخلاص للغاية التى يريدونها ويعملون لها . . وحتى لو أخطأ أحدهم فى وجهة نظره ، وفى رسم الطريق المؤدى لغايته ، فمن الواجب التماس العذر له لانه فكر واجتهد مخلصا حسب ما آتاه الله من علم وعقل للوصول الى الهدف .

هذا هو المبدأ السليم الذى يمكن على أساسه أن نخدم الدين أو نخدم المجتمع عن طريق الدين ، والذى علمنا هذا المبدأ وأرشدنا اليه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرر أن للمجتهد أجرين اذا أصاب وأجرا واحدا اذا اخطأ . فلم يحرم المخطىء من ثواب اجتهاده ، ولم يجرده من اخلاصه . فكان هذا المبدأ هو المفتاح الذى فتح عقول المسلمين ، ودفعها للتفكير والعمل كل واحد على قدر عقله ، وفى دائرة اختصاصه وعمله . . فانطلقوا لخدمة دينهم كل على قدر طاقته وما يهديه اليه عقله ، فاختلفوا مثلا فى فهم بعض آيات الله وأحاديث رسول الله ، واستنبط كل واحد غير ما يستنبطه الآخر ، ومع ذلك لم نعثر فى تاريخهم على اتهام وجه اليهم من المخالفين معهم ينتقص من دينهم ، أو من غيرتهم واخلاصهم . بل كانوا مع هذا الاختلاف يجل بعضهم بعضا ويثنى عليه .

حمى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة الامام الشافعى من بطش الخليفة حين وشى به اليه . كما احتضنه الليث بن سعد صاحب الامام مالك حين ترك بغداد وجاء الى مصر . . ولم يستجب الامام مالك لرغبة الخليفة فى حمل الناس جميعا على مذهبه ، ليكون هو المذهب الوحيد فى العالم الاسلامى ، احتراما منه لرأى زملائه المجتهدين الآخرين . .

وفى هذا الجو الذى أوجده الاسلام ترعرعت العقول ونشطت ، فأنتجت لنا هذا الميراث الفكرى الضخم الذى نعتز به ونعيش عليه .

ولو ظل هذا الجو يملأ على المسلمين حياتهم لسعدنا بأضخم من هذا التراث ،

ولظلت الحركة الفكرية فى تقدم مستمر . ولظل للعلماء والمفكرين مقامهم وجلالهم .

ولكن مع الاسف الشديد هبت على المسلمين ريح التعصب الاعمى ، وشغل العلماء بأنفسهم ، وغلبتهم أنانيتهم ، فكاد بعضهم لبعض عند العامة وعند الحكام ، واسرع بعضهم يتهم الآخر فى دينه واخلاصه لمجرد رأى يراه، فحاصرت هذه الروح الكيدية العقول ، وغللتها بالاغلال ، فأجدب الحقل الاسلامى قرونا من أن ينتج أناسا على غرار مالك والشافعى وابى حنيفة وابن حنبل والثورى والاوزاعى والليث بن سعد وغيرهم ، ممن حفلت بهم القرون الاولى فى الاسلام .

وكانت نومة طال ليلها .. وكأن الذين عاشوا فى هذا الليل وتخبطوا فيه قد ألفوا السير فى ظلامه من طول ما لبثوا فيه ، فأصبح كل نور يلمع أمامهم يعشى أبصارهم ، ويفقدهم توازن أقدامهم وخطواتهم ، فيهبون جميعا لمحاصرته حتى يطفئوه ويقضوا عليه .. تساعدهم فى ذلك مآرب حكام ومستعمرين يتبادلون واياهم عواطف الاسترضاء ، وتحقيق المصالح والاهواء ...

حتى طلع الفجر .. وبدأ الناس يبصرون مواقع أقدامهم ، وينظرون لقافلة الحياة تسبقهم الى النور . وهال نفرا منهم ما هم فيه من تخلف وركود وقصور ، فاتجهوا الى منبع النور الأول ـ كتابهم وسنة نبيهم ـ يستهدونه ، والى منهج السلف الصالح يترسمونه ، وهبوا فى النائمين فى الظلام ليوقظوهم ، ويقودوا قافلتهم الى حيث تعيش فى النور ، وتطرد عنها أشباح الليل ، وتثبت أقدامها على درب الحياة القوية المفعمة بالأمل ، المزدانة بالتفكير والعمل .. ولكن قوما ممن ألفوا حياة الركود والظلام ، قاموا فى وجه هؤلاء المخلصين يلقون التهم عليهم ويرشقونهم بالحجارة ، ويلطخونهم بالطين .. كلما سمعوا رأيا لم يألفوه قالوا : خروج عن الدين ، مع أنه من صميم الدين ، ولكنهم جهلوه . والانسان عدو لما جهل .. ومع ذلك لم تتوقف القافلة ، بل سارت ولكن فى تعثر ، وما كان لها أن تتوقف أو تعود الى الركود بعد أن تيقظت ، ووضعت أقدامها على أول الطريق ، ولكنها وجدت نفسها فى يد غيرها ، وأمورها يصرفها الدخيل عليها ، ويدخل على مجتمعها من المعاملات والتقاليد ما هو غريب عليها ، ليلقى بها بعيدا عن دينها وتقاليدها حتى يصعب عليها العودة اليه ..

وهنا كان مفترق الطرق لها . اما أن تستسلم لما أريد بها ، وترتمى فى أحضان غيرها ، وتنسلخ نهائيا من تراثها ، وتتنكر لماضيها وفى ذلك فناء لها .

واما أن تحاول استرجاع شخصيتها ، والحفاظ على تراثها ، والاتصال بماضيها ، وتنقية حياتها من كل دخيل غريب على دينها وطبيعتها وفطرتها ..

وكان لا بد لها أن تختار الطريق الثانى ، لأنه طريق حياتها ، طريق العزة التي تتعشقها ..

ولكن هذه المخلفات التي تراكمت على الطريق من آثار قرون مضت ، ومن آثار حياة زرعها الاستعمار فى مجتمعنا كيف تتخلص منها ؟ .

ان القضاء عليها يتطلب عقولا متفتحة تفهم وتستوعب ، وعزائم قوية تحتمل

العبء ، ولا تيأس من التيارات المضادة لها ، ولا من الاتهامات الخاطئة الهوجاء التى توجه اليها .. ويتطلب ايمانا تذوب على حرارته كل الصعاب والمشقات .. ومع ذلك كله يتطلب من جميع العاملين فى الحقل الديني أمرا مهما وفعالا ، وهو أن يتأدبوا فى دعوتهم بآداب الاسلام ، وتكون لهم قدوة حسنة بسيرة الائمة الأعلام الذين اختلفت وجهات نظرهم ووسائل عملهم ، ولم تختلف قلوبهم ، ولم يهدم بعضهم بعضا ، ويتهمه فى دينه وعقيدته ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام العاملين له أن يلتزموا بهذه الآداب فى كل زمان ، فانهم فى هذا الزمان يجب أن يكونوا أكثر التزاما بها ، حتى لا تتفرق صفوفهم ، وتتبدد جهودهم ، وتضعف قواهم أمام الذين اتحدت صفوفهم ، وتجمعت قواهم لمحاربة الاسلام بكل وسيلة يملكونها ..

واذا كان من واجب الغيورين على الاسلام أن يعملوا جاهدين على احياء روحه فى النفوس ، فان من واجبهم كذلك ان ينهضوا جميعا لمجابهة المشكلات الحديثة التي وفدت مع الغزو الغربى بايجاد الحلول السليمة لها ، حتى لا تكون فى مجتمعنا تناقضات بين مجرى حياتنا ، ربما تزرع اليأس فى قلوب بعض المسلمين من أمكان العودة الـــى الدين ،وتشكيل حياتنا على هديه وتعاليمه .

واذا كان هذا واجبا على الطليعة المفكرة من علمائنا ، فان هناك واجبا آخر تتحمله الصفوف التي تقف خلف هؤلاء العلماء المفكرين ، وهو أن تشد أزرهم ، وتتمسك فى حكمها عليهم ونظرتها لهم بالهدى النبوى الكريم الذى جعل للمجتهد المصيب أجرين وللمخطىء أجرا ، فلا تسيىء الظن بهم ، ولا تطلق ألسنتها للنيل من اخلاصهم لدينهم ، واتهامهم بالخروج عليه ، وأن ينزل منها الى ميدان المناقشة البريئة النزيهة من يستطيع المناقشة ، لنصل فى النهاية الى نتيجة ايجابية ، وثروة فكرية علمية تضاف الى ثرواتنا التـــى ورثناهـــا ..

أقول هذا وأكرره لأن كثيرا من الذين يقفون فى هذه الصفوف الخلفية يحملون دائما معاول الهدم لكل تفكير جديد لا يألفونه ولا يدركونـــه مهما يكن مصيبا . ويتخذون من اشهار أسلحة الاتهام فى وجه المفكرين وسيلة الى الشهرة ، واتخاذ مواقف البطولة المصطنعة باسم الدفاع عن الدين والغيرة عليه . وقد يكون بعضهم مخلصا ولـــكن الاخلاص وحده لا يكفى ، بل لا بد أيضا من البصيرة والفهم ، فان العدو العاقل خير من الصديق الجاهل .

ان كثيرا من المفكرين يخشون لسان هؤلاء ، ويؤثرون السلامة منهـم على أن يتقدموا بآرائهم ودراساتهم ..

بل ان بعض هؤلاء المفكرين يتملق عواطف هؤلاء ، فيؤثر الجانب الذى يرضيهم ، وينتزع اعجابهم على حساب عقله وفكره وضميره . وهذا شيء يؤسف له .

ان على العاملين فى الحقل الاسلامي ، وفى مقدمتهم المفكرون أن يدركوا أن أمامنا الآن هدفين مهمين يجب أن تتضافر كل الجهود فى العمل من أجلهما :

أولهما : صيانة العقيدة الاسلامية وتثبيتها فى النفوس ، وتقريب مبادىء الدين وتعاليمه للعقول .

وثانيهما : ايجاد الحلول المناسبة للأحداث والمعامـلات الجديدة حتى يزول التناقض الواقع بين ديننا ومجرى حياتنا ..

وحـول هذين الهدفين ومن أجلهما يجب أن تتجه جهود الغيورين من العلماء والحكام وعامة الشعب فى كل مكان وميدان .

وان مما نحمد الله عليه أن يكون هذان الهدفان هما الأساس الذى قامت عليه مجلة ((الوعى الاســلامي)) وكرست جهودها للعمــل من أجلهما ، وأهابت بالعلماء واستنفرت هممهم لخدمتهما فى أول عدد صدر منها .. ولا تزال تطلب منهم المزيد من الجهد الفكرى فى هذا السبيل .

لا نريد أن تكون ((الوعى الاسلامى)) صورة مكررة لما ألفناه من أبحاث مكررة شبع القراء من قراءتها ..

اننا نريد أن نحطم الأغلال التي أحاطت بنا زمنا طويلا ، وحالت بيننا وبين الحياة الاسلامية السليمة .

لسنا ممن يحبون أن يسيروا على سياسة الباب المغلق ، ونلف وندور داخـل الجدران التي أحاطت بنا ، وأفسدت الهواء علينا زمنا طويلا ايثارا للسلامة والعيش الهنىء وليكن بعد ذلك ما يكون ..

ومع أننا نؤثر السلامة ونطلبها مثل كل الناس الا أننا لا نحب أن نتمتع بها على حساب التغافل ، واغماض العين عما يشغل الرأى العام الاسلامي ويبلبل أفكاره ويزرع فيه المتناقضات وينميها .. ويجعله فى حيرة قاتلة بين دينه وحياته .

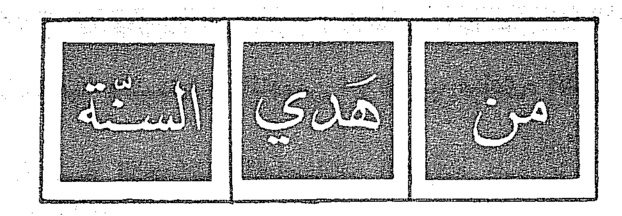
لا نريد ، ولا يرضى لنا الله الذى جعلنا أمناء على دينه أن نتمتع بهذه الســلامة عن طريق اهمالنا لأبسط الواجبات على رجال تحملوا أمانة تبصير المسلمين بدينهم ، والكشف عما فيه من قيم وحلول لمشكلاتنا اتقاء للرشاش الذى يصـيبنا من بعض المتحمسين الذين نرجو لهم مع هذا التحمس الكثير من التعمق فى الفهم والادراك ..

لا نريد أن نترك ميدان العمل الجاد المفتوح لخدمة الاسلام ورد السهام عنه ، ونشغل أنفسنا بالتوافه ، ونكرر مهزلة البيزنطيين حين كانت الجيوش تطرق أسوار مدينتهم ، وهم فى شغل عنها بمناقشة حامية : هل البيضة أصل الدجاجة أو الدجاجة أصل البيضة ، حتى اقتحمت الجيوش عليهم مدينتهم وقضت عليهم ..

أخى : حينما ندرك جميعا هذا ، ونعمل له ، ونصل اليه ، وتزول من أوساطنا المهاترات والمزايدات نكون فعلا قد حققنا معنى العيد فى قلوبنا ومظاهرنا .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

رئيس التحرير



أشراط الساعة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف
والشؤون الاسلامية

عن أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ،ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » (رواه البخارى ومسلم) .

نحن المسلمين آمنا بالله وصدقنا رسله وقر فى قلوبنا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، ولكن الناس أهمتهم دنياهم فعكفوا عليها يحاولون الوصول الى أسرار ما فى كونها، وغفلوا عن الآخرة مع أنها أكثر أهمية بالنسبة لهم ، لأن ما هم فيه محكوم عليه بالفناء ان عاجلا أو آجلا طال الزمان أو قصر ، والكل راحلون الى حيث يشاء الله عظم أمر الراحل أو هان ، وانحصر حديث القوم فى المحسات حتى استغرق القول والعمل ، واذا حانت من عاقلهم التفاتة الى ما هو آت سرعان ما يلوى عنقه الى بهرج يجذبه وزخارف تلهب حواسه ، فلا بد من تذكير ، والذكرى تنفع المؤمنين ، بيوم تحدث عنه القرآن الكريم ، وجلا أمره سيد المرسلين ، وورد ذكره فى كتب السماء جميعا ، يوم ينفخ فى الصور فتسوى الارض ، وتندك الجبال ، وتطوى السماء كطى السجل للكتاب ، وتنسف الراسيات ، وتترك البسيطة قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، ولكن متى يكون ذلك ومتى يصدر الامر الالهى بالتنفيذ ؟ تساؤل ليس غريبا على البشرية ، وليس حديثا فيها ، فما أكثر ما ورد بالذكر الحكيم ، وما اكثر ما أجاب عنه رب العالمين . ! قال تعالى فى سورة الاعراف الآية (١٨٧)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تأتيكم الا بغته يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون » . وفى سورة الاحزاب الآية (٦٣) يقول الله تعالى : « يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا » وفى سورة النازعات الآيات : (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) يقول العلى الكبير سبحانه : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها » . وقد ورد فى حديث جبريل عليه السلام وقد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الناس أمور دينهم ، ما نصه : « .. ثم قال — أى جبريل — يا محمد متى الساعة ؟ وجاء الجواب : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ! .. وهكذا لا نجد جوابا يحددااليوم والوقت المعين لنهاية العالم فأمر ذلك مما استأثر الله بعلمه وحجبه لامر يعلمه سبحانه عن عباده ، واختص تبارك اسمه بتوقيته ، والحكمة فى ذلك مكنونة فى غيبه قال عز وجل : فى سورة السجدة (فصلت) الآية (٤٧) : « اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد » . وفى سورة لقمان الآية (٣٤) يقول سبحانه : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » . وهنا قرن الله سبحانه علم الساعة التى تحدد نهاية هذا الكون بأمور تحدث فيه تباعا أى تتوالى أمام أنظارنا ولا نعلم من أمرها قبل حصولها شيئا لنؤمن بأن الساعة أيضا ستحدث وستتحقق ولكن متى ؟ الجواب دائما وأبدا : الله وحده يعلم متى ؟ . وقد ترك الله تبارك وتعالى الشواهد فى الحوادث المغيبة تشير الى قرب الحصول أو بعده ولكن لا تحدد شيئا ، ولا يمكن للمخلوق العاجز أمامها أن يحدد شيئا مهما أوتى من العلم فما أوتى منه الا قليلا : تتجمع السحب ونقول حان وقت المطر وقد ينقشع السحاب وتتبدد الغيوم ولا يتساقط المطر ، وتحمل الانثى ونبسط أكف الضراعة نقول : لعله من نوع يحبه الآباء وترجوه الامهات، ويقول صاحب الغيب صبرا فعما قليل يزول الحجاب ويزحف الجنين الى الفضاء بعيدا عن كنه وستعلمون ، لكن الآن ، لا . ويقدر البشر أنه سيفعل وسيفعل ليحصل على طعام الغد ، وفريسة الساعة القادمة ، ولكنها تفلت أقرب ما تكون اليه ، أما كيف أفلتت فلا يدرى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء). قال الجاحظ (رب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير أمامه) . فأمر الغد تلوح ملامحه ولكنها لا تصدق دائما ، ويتطور المخلوق سائرا فى دروب الحياة يقطع فيافيها ويسلك مفاوزها وتعتوره سنة الله وتلاحقه آثار الايام فيه ، فيعوج كهلا وشيخا ويرد الى أرذل العمر مقيما فى بقعة ما من الكون ، وتراه وقد تقوس ظهره ، وأخذت منه السنون كل مأخذ يبتغى مسكنا فى غير مسقط رأسه ، ويريم أهلا فى غير واديه ، وتلاحقه منيته فى مكان لم يكن طرقه

من قبل ولا جاس خلاله فيما مضى له من عمر على المعمورة .

وهكذا أمر الساعة مجرى حديثنا وموضع استقصائنا ومراد بحثنا لا نجد فيها أى فى ميعادها نصا حاسما ، ومع هذا فلها علامات ودلائل تحدث عنها الصادق وأوضحها بما لا يقبل الجدل بعد أن تحقق كثير مما قال ، ولمسنا بحواسنا صدق ما أخبر عنه ، وعشنا فى جيل تجلت فيه بعض الامور التى أشار اليها سيد الخلق الذى لا ينطق عن الهوى فما هى تلك العلامات ؟ هذا ما تجيب عليه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رواها البخارى ومسلم واتفق على بعضها جميع رواة السنة الذين حققوها متنا وسندا ووضحوها ونفوا عنها ما يوهنها ، فما لقى علم من العلوم الاسلامية عناية واهتماما كما لقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد دققه وحققه وحفظه علماء أجلاء عبر أجيال متطاولة منهم من قضى نحبه غفر الله لهم ، ومنهم — وهم قلة الان فى أطراف الارض — أطال الله بقاءهم ، وسيجىء يوم لا يوجد فيه منهم أحد كما حدث الصادق المصدوق ، ومما يعزى أنه ستبقى آثارهم خالدة فى كتبهم ، وأخشى ما أخشاه أن تصير متاحف وآثارا ينظر اليها ولا يدرى ما فيها ، ويكون ذلك من علامات الساعة كما يشير اليه ما ورد فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » .

وقد قسم العلماء العارفون علامات الساعة الى قسمين : علامات صغرى وهى كالارهاص لدنو أجل الدنيا واقتراب فنائها . وعلامات كبرى وهذه ستحدث بين يدى الساعة مباشرة ، وقد وردت أحاديث صحيحة تبين العلامات الصغرى منها ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)) وقال صلى الله عليه وسلم (يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل) والمراد بتقارب الزمان نزع البركة منه ومعه كل شىء وأن اليوم يصير الانتفاع به بقدر الانتفاع بساعة واحدة، وقد ورد فى حديث الترمذى مما رواه مرفوعا عن أنس رض الله عنه ما يدل على أن تقارب الزمان قبيل الساعة أمر حسن ونص الحديث : ((لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة)) وتبعا لذلك ينقص العمل ، ويرجع العلماء كل هذا الى سوء المطعم، فالناس لا يتحرزون فى أقوالهم بل يتناولونها من الحلال ومن الحرام ، ومما فيه شبهة ولا يبالى أحدهم من أى سبيل حصل عليها ، والواقع أن البركة فى الزمان وفى الرزق وفى النبت انما تكون عن طريق

قوة الايمان واتباع الاوامر واجتناب النواهى ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض)) الآية ، وأما المراد بالعلم الذى سيقبض فهو علم الشريعة الاسلامية حلالها وحرامها حدودها وقواعدها وقد بدأ هذا فعلا فاننا نلاحظ فى مختلف بلاد المسلمين تناقص عدد العلماء الفاقهين للاسلام حق الفقه الذين أفنوا زهرة شبابهم فى البحث والتحصيل ، والذين يستطيعون أن يوجدوا لكل مشكلة حلا من كتاب الله وسنة رسوله ـ أقول ـ ان عددهم آخذ فى الانقراض بشكل يستلفت النظر ، والادهى من ذلك والامر أن المسلمين اتجهوا الى العلوم المادية البحتة والنظرية البعيدة عن الشريعة ولم يفردوا لعلوم الشريعة مكانا خاصا ولم يفسحوا لها مجالا تتركز به فى أذهان الناشئة ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك ، وهذا بدء تحقق كلام الرسول ، وسيجىء اليوم الذى يسأل فيه المسلم عن أبسط أمور دينه فيجيب خبط عشواء بعيدا عن المراد لله ولرسوله ، ونسأل الله ألا ندرك تلك الايام السود ، وقانا الله واياكم شرها وشر ما يدهم العالم فيها من فتن ومحن واحن والمراد بالهرج : القتل كما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان كانت للهرج معان أخرى تربو على التسعة : منها : شدة القتل ، وكثرة القتل ، والاختلاط والفتنة فى آخر الزمان ، وكثرة النكاح وكثرة الكذب ، وكثرة النوم ، وما يرى فى النوم غير منضبط ، وعدم الاتقان للشىء

ومن الاحاديث الشريفة ما يدل على أن الساعة تأتى بغتة ومفاجئة للعالم على غير انتظار ، كما ورد ذلك بالكتاب العزيز « .. لا تأتيكم الا بغتة .. » وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها (١) فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه (اى يصلحه بالطين) . فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » . ودلت بعض الاحاديث على أن حربا شعواء سيستعر أوارها بين المسلمين واليهود وسيكون النصر فيها حليف المسلمين ، فقد روى مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر

البقية على ص ٣٧

(١) وهذه من العلامات الكبرى

لماذا اختلف الأئمة

هل عمل صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور التي اختلف

ولماذا يكون الشئ فرضا عند إمام مكروها مثلاً عند إمام آخر

وما الحكم فيما لو قلد إماما في نقطة وقلد غيره

وهل يمكن تقليد غير الأربعة أو الاعتماد على الكتاب والسنة

ان الخلاف الذى وقع بين رجال الشريعة الاسلامية نوعان :

١ ـ خلاف حرمه الله ورسوله .

٢ ـ خلاف تقتضيه طبيعة البشر ،فهو ضرورى الوقوع ما دامت أدلة الفقه ظنية ، وأن الله خلق الناس مختلفى الأنظار والتفكير ، وذلك يقتضى طبعا تشعب الآراء . وهذا أنواع :

١ ـ ما حصل بين الصحابة ، والرسول صلى الله عليه وسلم حاضر معهم ، وقد يكون طرفا فى الخلاف .

٢ ـ ما حصل من الصحابة عن اجتهاد منهم فى حياة الرسول ولم يكن صلى الله عليه وسلم حاضرا معهم ، وهذا أربعة أنواع :

أ ـ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ولم يقره .

ب ـ ما وقع من اجتهاد بعضهم فى عهده صلى الله عليه وسلم ووافق عليه .

ج ـ ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفا وأنكر الآخر .

د ـ ماوقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا من الطرفين .

٣ ـ ما حصل بين علماء المسلمين بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وهو أوسع الخلافات .

وما الحكم في تقليدهم؟

فيها الفقهاء؟
في أمور العبادات؟
في غيرها؟
دون التقيد بمذهب الآن؟

للشيخ عبد الجليل عيسى

تردنا كثيرا أسئلة من القراء حول المسائل المختلف فيها بين الأئمة ولا سيما فى الأمور الفقهية . منهم من يستفسر عن سر الخلاف ، ومنهم من يستعظم أمره ويتمنى لو لم يكن .

ولفت نظرنا بصورة خاصة سؤال جاءنا من قارىء بطنطا بالجمهورية العربية المتحدة فرأينا أن نحرر هذه الأسئلة ، ونضيف اليها ما يكملها ، ونتوجه بها لفضيلة الشيخ ـ وله فى موضوعها كتب وأبحاث ـ ليتناول علاجها بشىء من الافاضة تريح القارىء وتطمئنه . فتفضل ـ مشكورا ـ بارسال هذا البحث الذى نقدمه اليك الآن على أن نوالى فى الاعداد القادمة تكملته ان شاء الله .

الوعى الاسلامى

أما الخلاف الذى حرمه الله ورسوله فهو ما نهى عنه الله ، وحذر منه رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال فيه سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) آية ١٠٥ من آل عمران .

وقال سبحانه (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) آية ١٥٩ من سورة الانعام ، وقال (ولا تكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) آية ٣٢ من سورة الروم ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم خطر الخلاف بين المسلمين فقال : « اختلف اليهود والنصارى الى ثلاث فرق ، وستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم فى النار الا واحدة » قالوا وما هى يا رسول الله قال : « هى ما أنا عليه وأصحابى » يريد صلى الله عليه وسلم بهذه الفرقة الناجية من تكون على ما هو عليه وأصحابه من اتباع تعاليم الشريعة السمحة ، مع سعة الصدر مع المخالف فى غير المقطوع به ، المعلوم من الدين بالضرورة .

وهذا الخلاف المنهى عنه فى الكتاب والسنة هو ما كان منشأه التعصب للرأى ، والبعد الشاسع عن مبادىء الدين السمحة ، حتى يعادى المسلم أخاه مهما ظهر له من دليل يخالفه ، الى غير ذلك من أسباب هيأ مصائدها لهؤلاء المخالفين الشيطان وجنوده .



وهذا الخلاف هو الذى قال فيه الغزالى فى كتابه « الاحياء » بعدما نقل ما كان عليه الصدر الأول من سعة الصدر ، قال فى أهله : « وانظر اليوم الى مناظرى زمانك كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان مناظره وكيف يجتهد فى مكابرته بأقصى ما يستطيع ، ويبلغ به الغيظ أن يداوم على الطعن فيمن أفحمه طول عمره » .

ثم قال الغزالى : « واعلم أن المناظرة بقصد الغلبة والتظاهر بالعلم والفضل والتشدق عند الناس ، وقصد المباهاة ، هى منشأ جميع الأخلاق المذمومة عند الله ، المحمودة عند عدو الله ابليس ، ونسبتها للفواحش الباطنة من الكبر ، والعجب ، والحسد ، وحب الجاه ، وغير ذلك ، كنسبة شرب الخمر للفواحش الظاهرة من الزنا ، والقتل ، والسرقة ، وغير ذلك . وقد جاء عن بعض السلف أنه قال : اذا تعلم الناس العلم ، وتركوا العمل وتحابوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، لعنهم الله وأعمى أبصارهم » .

ثم قال الغزالى : « وقد أصبحنا فى زمان يشتغل علماؤه بدقائق الجدل ، ويزعمون أن ذلك من أعظم القربات وقد كان ذلك فى الصدر الأول ، من المنكرات » .

وقال صاحب المنار فى مقدمة كتاب « المغنى » : « ولما كان الخلاف فى الفهم والرأى من طبائع البشر ، خص الاختلاف المذموم فى الاسلام بما كان ناشئا عن تفرق ، أو كان سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح ، فحظروا فتح باب الآراء فى العقائد ، وأصول الدين ، وأوجبوا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالأحكام العملية ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه فى المسائل الاجتهادية ، ولا يكلفه أن يوافقه فى فهمه ، ثم ان كثيرا من العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء فى مسائل الأحكام رحمة بهذه الأمة ، وتحقيقا ليسر دينها الذى ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، واتقوا ما حذر الله فى كتابه من مضار التفرق والاختلاف ، الذى أفسد على الأمم السابقة دينها ودنياها ، ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وتشدد كل منهم فى تحتيم تقليد مذهبه ، وحرم على المنتمين اليه أن يقلدوا غيره ، ولو لحاجة فيها مصلحتهم ، وكان من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ وغيرها كالأحياء للغزالي حتى صار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه ينظرون اليه نظرتهم الى البعير الأجرب بينهم » .

ولم يقصد أحد من الأئمة من تدوين أقواله أن تكون هى الشرع ، أو كالشرع تتبع لذاتها ، ويحرص على التعصب لها ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى ، فتكون كاتباع الشرائع المتعددة المختلفة ، لأن كل هذه معاصي مجمع على تحريمها ، **وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء ، وتعصب كل شيعة لمذهب منها فى الأصول ، والفروع ، هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء مما يتعصبون له بقطعى ولا مجمع عليه .**

فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك أسباب هذا التفرق والاختلاف ، حتى قال الغزالى فى كتابه « القسطاس المستقيم » بالاكتفاء بالعمل المجمع عليه ، واعتبار المسائل المختلف فيها كأن لم تكن ، وأن ما ترتب على التفرق من الضرر والفساد المدون فى التاريخ والذى أفضى فى هذه الأزمنة الى ضعف المسلمين ، والى ذهاب ملكهم ، وتمكين الأجانب من الاستيلاء على بلادهم ، واغراء عوامل نفور بعضهم من بعض . كل ذلك يؤيد

وجوب تلافي شرور هذا التفرق، والعمل على جمع الكلمة ، ووحدة الأمة .

وأما الخلاف الذى حصل بين الصحابة والرسول حاضر معهم فمنه : ما حصل بين أبى بكر وعمر فى أخذ الفداء من أسرى بدر وعدمه ، ووافق الرسول رأى أبى بكر ، ونزل القرآن بما يؤيد رأى عمر من عدم أخذ الفداء آية ٦٧ من الأنفال .

أ ــ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة والرسول غير حاضر معهم ولما علم به لم يقره ، فمثله : ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله أنه قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشج رأسه ، ثم لما بات احتلم ، فلما أصبح سأل أصحابه : هل تجدون لي رخصة فى التيمم ؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فاشتد جرحه ، فمات ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بذلك قال : قتلوه ، قتلهم الله ، انما كان يكفيه أن يتيمم ، ويعصب على رأسه خرقة ، ثم يمسح عليها ، ويغسل سائر جسده .

فهؤلاء منشأ خطئهم أنهم أخذوا آية (فان لم تجدوا ماء فتيمموا) على ظاهرها، مع أن شرط استعمال الماء ألا يؤذيه ، أما اذا كان الماء باردا مثلا ولا يستطيع تدفئته أو كان يستطيع التدفئة ولكنه يضر به مطلقا ، فان التيمم يكفيه .

ونظير ذلك ما رواه البخارى ومسلم والدار قطنى عن عمار بن ياسر قال : أجنبت فلم أجد ماء ، فتمرغت فى الصعيد (أى التراب) وصليت ، وذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما يكفيك هكذا ، وضرب صلى الله عليه وسلم بيديه الأرض ونفخ فيهما ، ثم مسح بهما وجهه وكفيه ، ولفظ الدارقطنى انما كان يكفيك أن تضرب بكفيك على التراب ، ثم تنفخ فيهما ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين (والرسغ بضم الراء وسكون السين هو العظم الفاصل بين الكف والذراع) .

وممن كان يظن كان ظن عمار من تعميم التراب للبدن ، عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود ، ولما علما بما كان من عمار رجعا الى ما ذكره النبى صلى الله عليه وسلم ، فترى هنا أن النبى صلوات الله عليه لم يقر عمارا على تمريغ جسمه فى التراب فى التيمم بدل الغسل .

ومن هذا النوع ما رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم رأى شيخا يمشي بين أبنيه يتوكأ عليهما فقال : ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشي (أى الى بيت الله الحرام) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » ، وأمره أن يركب .

ومنه ما رواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل فقال يا رسول الله ان أختى نذرت ان تحج ماشية فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يصنع بشقاء أختك شيئا ، فلتحج راكبة ولتكفر عن نذرها (١) .

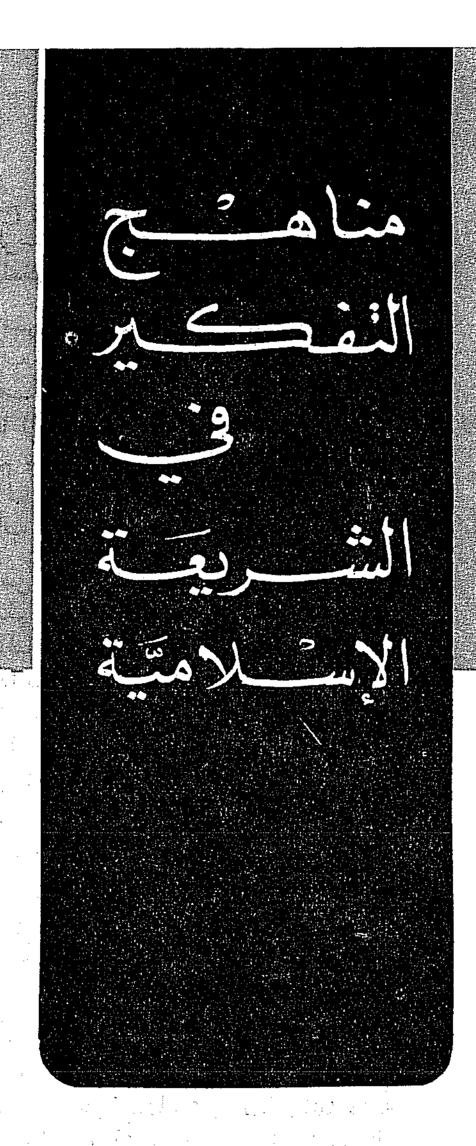
وروى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : هذا أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال صلى الله عليه وسلم مره فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه .

فتراه صلى الله عليه وسلم أقر هنا ما هو عبادة ، ورفض غيره .

ب ــ وأما ما وقع من اجتهاد بعض الصحابة فى عهده صلى الله عليه وسلم ولما علم به وافق عليه فمثله : ما رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عمرو

البقية على ص ٢٢ ، ٢٣

(١) وكفارة النذر هى كفارة اليمين .



لماذا اختلف علماؤنا السابقون

لماذا لا يكون لنا رأي

سبب الاختلاف

قد يقبل بعض المجتهدين حديثا لتوافر شروط القبول فى نظره ، ويرده آخر لعدم توافر شروط القبول عنده ، ويقع ذلك على وجوه : منها ما يرجع الى السند – أى الى فحص رواة الحديث والتأكد من عدالتهم وضبطهم – ومنها ما يرجع الى المتن – أى الى نقد موضوع الحديث نفسه ، لمعرفة ما اذا كان فيه نكارة معنوية ، أو هو خال من كل نكارة مع صحة سنده فى الحالين .

وأكثر الخلاف بين العلماء من حيث القبول والرفض راجع الى فحص السند ، وتمحيص حال الرواة .

وكل المسلمين متفقون على أنه اذا ثبت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب العمل به ، ما لم يتضمن علة قادحة فيه من جهة المعنى ، لكنهم يختلفون فى الثبوت أو عدمه ، وفى وصول العلة القادحة فى متن الحديث الى الحد الذى يجعله منكرا ، أو عدم وصولها الى هذا الحد .

وقد اشتهرت على ألسنة العلماء فى ذلك عبارة تقول : ان الخلاف انما هو فى الصغرى دون الكبرى ، أو الخلاف صغروى لا كبروى .

وبيان هذه العبارة : أن هناك قياسا منطقيا من الشكل الأول ، يستصحبه المجتهد دائما كنبراس له يستضىء به فى طريقه ، وهذا القياس مركب من مقدمتين ونتيجة :

فالمقدمة الأولى – وهى الصغرى –

الفقهاء في الأحكام؟ نقدوا سند الحديث وموضوعه. بجانب السابقين في الجرح والتعديل؟

للشيخ محمد محمد المدنى
الاستاذ بكلية الشريعة ـ جامعة الأزهر

تقول : « هذا الحديث ثبت عن رسول الله » .

والمقدمة الثانية ـ وهى الكبرى ـ تقول « وكل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا » .

والنتيجة المستخلصة من هاتين المقدمتين تقول « فهذا الحديث يجب العمل به شرعا » .

فالخلاف بين المجتهدين ليس فى المقدمة الكبرى ، اذ كلهم مؤمن بأن ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به شرعا ، لقوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » وغير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ، أو نهى عنه ، أو دل عليه فعله أو تقريره ، فليس فى المقدمة الكبرى اذن خلاف .

وانما الخلاف فى المقدمة الصغرى ، اذ يعارض بعضهم فى ثبوت حديث مثلا ، بينما يتمسك الآخر بأنه ثبت ، بناء على المنهج الذى اختطه فى شروط القبول .

فلا تجد أحدا من المسلمين يقول : هذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون علة قادحة فيه ، ومع ذلك لا أعمل به ، ولكن تجد منهم من يقول : لم يثبت هذا فأنا لا أعمل به ، او هو ثبت رواية وسندا ولم يصح موضوعا ومتنا لوجود علة فيه ، فأنا لا أعمل به .

مثال نقد السند

فمن أمثلة الخلاف الذى يرجع الى السند : ما استدل به الشافعية من حديث مروى عن عبادة بن الصامت ، قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ، فثقلت عليه القراءة ـ أى لأنهم كانوا يقرأون خلفه بصوت مسموع فكان يجد ثقلا وهو يقرأ من أجل قراءتهم خلفه ـ فلما انصرف قال : « انى أراكم تقرأون وراء امامكم ، قالوا : اى والله يا رسول



الله ، قال : « لا تفعلوا الا بأم القرآن ، فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » — رواه أبو داود والترمذى .

وقد استدل الشافعية بهذا الحديث فيما استدلوا به على وجوب قراءة الفاتحة على المأموم .

وفى هذا الحديث يقول ابن قدامة المقدسى صاحب « المغنى » : « حديث عبادة لم يروه غير ابن اسحاق ، ونافع ابن محمود بن ربيع ، وابن اسحاق مدلس ، ونافع أدنى حالا منه .

فنراه لا يقبل الحديث لضعفه من جهة السند ، معتمدا على تجريح راوييه .

وهذا النوع كثير ، وهو أساس هام من أسس الخلاف ، ولا سيما بين السنة والشيعة الامامية والزيدية ، فكل فريق منهم يرى أحاديث ثبتت عنده لا يراها الآخر ، بسبب تجريحهم من رواها : أو عدم الأخذ به لأمر آخر قام لديهم .

— ولنا تعقيب على هذا سيرد على القارىء فى هذا المقال .

ومثال آخر فى نقد المتن

ومن أمثلة الخلاف الذى يرجع الى متن الحديث وما تضمنه : أى نقد الموضوع نقد ابن حزم لحديث قيل ان الحسن رواه عن ابن عباس جاء فيه **« أنه — أى ابن عباس — خطب فى آخر رمضان على منبر البصرة ، فقال : أخرجوا صدقة صومكم ، فكأن الناس لم** يعلموا ، فقال : من ههنا من أهل المدينة ؟ فقوموا الى اخوانكم فعلموهم فانهم لا يعلمون : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الصدقة صاعا من تمر أو شعير ، أو نصف صاع من قمح ، على كل حر أو مملوك ، ذكرا أو أنثى ، صغيرا أو كبيرا ، فلما قدم على رأى رخص الشعير ، قال : قد أوسع الله عليكم ، فلو جعلتموه صاعا من كل شيء » .

قال ابن حزم : وهذا الحديث قبل كل شيء لا يصح لوجوه ظاهرة :

أولهما : أن الكذب والتوليد والوضع فيه ظاهر كالشمس ، لأنه لا خلاف بين أحد من أهل العلم بالأخبار أن يوم الجمل(١) كان لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ثم أقام على بالبصرة جمادى الآخرة ، وخرج راجعا الى الكوفة فى صدر رجب ، وترك ابن عباس بالبصرة أميرا عليها ، ولم يرجع على بعدها الى البصرة — هذا ما لا خلاف فيه من أحد له علم بالأخبار — وفى الخبر المذكور ذكر تعليم ابن عباس أهل البصرة صدقة الفطر ، ثم قدم على بعد ذلك ، وهذا هو الكذب البحت الذى لا خفاء به .

ووجه ثان : أن الحسن لم يسمع من ابن عباس أيام ولايته البصرة شيئا : ولا كان الحسن حينئذ بالبصرة ، وانما كان بالمدينة — هذا مما لا خلاف فيه بين أحد من نقلة الأحاديث .

وأيضا — وجه ثالث — : فانه حديث مفتعل لا يصح ، لأن البصرة فتحها وبناها — سنة أربع عشرة من الهجرة عتبة بن غزوان المازنى — بدرى مدنى ووليها بعده المغيرة بن شعبة ، وأبو موسى ، وعبد الله بن عامر ، وكلهم مدنيون ، ونزلها من الصحابة أزيد من ثلاثمائة رجل ، منهم عمران بن الحصين ،

---

(١) يوم الجمل هو اسم للموقعة الشهيرة بين الامام علي رضى الله عنه ، وفريق من الصحابة كان على رأسهم أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وكانت فى هودج على جمل تحث على القتال ، فسميت الموقعة لذلك « بيوم الجمل » .

وأنس بن مالك، وهشام بن عامر، والحكم ابن عمرو، وغيرهم، وفتحت ايام عمر بن الخطاب، وتداولها ولاته، الى أن وليها ابن عباس بعد صدر كبير من سنة ست وثلاثين من الهجرة، أفلم يكن فى هؤلاء من يخبرهم بزكاة الفطر، بل ضيعوا ذلك وأهملوه، واستخفوا به أو جهلوه مدة أزيد من اثنين وعشرين عاما: مدة خلافة عمر بن الخطاب، وعثمان رضى الله عنهما، حتى وليهم ابن عباس بعد يوم الجمل؟ أترى عمر وعثمان ضيعا اعلام رعيتهما هذه الفريضة؟ أترى أهل البصرة لم يحجوا أيام عمر وعثمان، ولا دخلوا المدينة، فغابت عنهم زكاة الفطر الى ما بعد يوم الجمل؟.

ان هذا لهو الضلال المبين، والكذب المفترى، ونسبة البلاء الى الصحابة رضوان الله عليهم. ان هذا الخبر ما يدخل تصحيحه فى عقل سليم، وما حدث الحسن — والله أعلم — بهذا الحديث الا على وجه التكذيب له — لا يجوز غير ذلك» (١).

ولا شك أن هذا نقد موضوعي جيد يدل على تعمق وطول باع، ويشهد بأن علماءنا الأولين رحمهم الله، كانوا أحرص الناس على تعرف الحق، وأقوم الناس منهجا فى تحصيله والذود عنه!.

وواضح أن ابن حزم فى هذا النقد لم يكن موجها سهامه الى الرواة، ولكنه وجهها الى نفس المتن، وأخذ من عباراته وترتيب وقائعه، ما استدل به على نكارته وبطلانه.

ومثال ثالث

ومن أمثلة ذلك على عهد الصحابة ما فعلته عائشة رضى الله عنها، فى الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

فقد وجدت أن فى معنى هذا الحديث نكارة، فأن أصول الاسلام لا يتفق معها أن يعذب أحد بما يفعله أهله، فقضت عليه بأنه لم يأخذ الحديث على وجهه، وصححت هذا الوضع كما تعلمه فقالت: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يبكى عليها أهلها فقال: «انهم يبكون عليها، وانها تعذب فى قبرها» فظن ابن عمر أن العذاب علته البكاء، فجعل الحكم عاما على كل ميت.

وان كان بعض العلماء حمل ما رواه ابن عمر على أن المراد به الميت الذى أوصى أهله بالبكاء عليه بعد موته، فهذه وصية بفعل محرم يلحقه اثمها، فمن ثم عذب ببكاء أهله عليه.

وقد كان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، فيوصون بالبكاء عليهم، فأبطله الاسلام، ويدل على تقليد الجاهلية فى هذا ما روى من أن «لبيد بن ربيعة العامرى» أحد أصحاب المعلقات، قال لابنتيه وهو يحتضر:

تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما
وهل أنا الا من ربيعة أو مضر.؟
فان حان يوما أن يموت أبوكما
فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر.
وقولا هو المرء الذى لا حليفه
أضاع ولا خان الصديق ولا غدر.
الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر.!

والواقع أن نقد عائشة رضى الله عنها لابن عمر فى هذا الحديث مبنى على

---

(١) الاحكام لابن حزم ج ٢ ص ١٣٢.



أنه قد وهم ، وانما حملها على ذلك منافاة الحديث لأصل اسلامي : ومعرفتها الشخصية بحقيقة الحديث،أما التخريج والحمل على البكاء الموصى به فهو مجرد محاولة يراد بها التخلص من أن يكون هذا الحديث مصادما لأصل قطعى .

رأى لنا

ونود أن نقول هنا كلمة عن رأينا فى الخلاف الذى سببه استمساك كل فريق بما جاء عن طريق رواته ، ورفضه الأخذ بما جاء عن طريق رواة مخالفيه ، فنقول:

ان هذا النوع من الخلاف لا مبرر له ، ولا ينبغى أن يعتد به ، ونستطيع ــ نحن معاشر المتأخرين من مختلف المذاهب الاسلامية ــ أن نتخلص منه ، ونسير على أساس آخر هو أن ننظر من حيث السند الى صدق الراوى وضبطه ، أو كذبه وخلطه ، ولا شأن لنا بكونه يرى كذا فى المعارف الكلامية : أو فى الأمور التي لا تتعلق بأصول الدين ، ما دام لا يعتقد جواز الكذب لتأييد مذهبه .

ونؤيد هذا الرأى بما يأتى :

أولا : ــ انه لا ارتباط بين ما يعتقده الانسان فى المعارف الكلامية التي لا تتصل بأصول الدين ، وما يتصف به من الصدق أو الكذب ، أو الضبط أو السهو ، فكم من صادق ضابط فى روايته ، وهو مع ذلك يعتقد نظرية كلامية معينة هو مخطىء فيها ، وكم من مصيب فيما يعتقد ، ولكنه مع ذلك معروف بالكذب أو الغفلة ، ونحن مكلفون بالعمل بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أى طريق صحيح منضبط : لا من طريق معين دون سواه .

وهذا طبعا فى خصوص أهل القبلة ، أما الكافر فلا تقبل روايته أصلا ، ولو علم أنه يحترز عن الكذب ، لأن عداوته للاسلام تحمله على محاولة تضليل المسلمين :

قال الامام فخر الدين الرازى :

« أجمعت الأمة على أنه لا تقبل رواية كافر ، سواء علم منه الاحتراز عن الكذب أو لم يعلم ، والمخالف من أهل القبلة ــ اذا كفرناه كالمجسم وغيره ــ هل تقبل روايته أم لا ؟ والحق انه ان كان مذهبه جواز الكذب لا تقبل روايته ، والا قبلناها ، وهو قول أبى الحسن البصرى (١)

هذا كلام الامام الرازى ، ولا شك أنه رأى منصف ، بل اننا نستطيع ان نصفه بالتسامح ، لأنه جعل المجسم ممن تقبل روايته ، فما بالنا بمن لا يصل مذهبه الى القول بالتجسيم ؟ .

ويقول الطوفى الحنبلى :

« ان المحدث اذا كان ناقدا بصيرا فى فنه جاز له أن يروى عن جماعة من

---

(١) نزهة الخاطر حاشية روضة الناظر ٢٨١ جـ ١ المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ .

المبتدعة الذين يفسقون ببدعتهم ، كعباد ابن يعقوب ــ وكان غاليا فى التشيع ــ وحريز بن عثمان ــ وكان على عكسه مبغضا لعلى رضى الله عنه » (١) .

ومما يتصل بهذا أن أهل الأصول قد تكلموا فى قبول التعديل والتجريح للرواة ، اذا لم يبين سببهما ، فالتعديل عند المحققين لا يشترط بيان سببه ، استصحابا لحال العدالة فى المسلم ، وأما سبب الجرح فيشترط بيانه ، وممن يقول بذلك الشافعى وأحمد فى أحد قوليه ، وذلك لاختلاف الناس فى سبب الجرح ، واعتقاد بعضهم ما لا يصلح أن يكون سببا للجرح جارحا على نحو من الغلو . وفى مثل ذلك ما رواه الطوفى اذ يقول « ولقد رأيت بعض العامة وهو يضرب يدا على يد ويشير الى رجل ويقول: ما هذا الا زنديق ، ليتنى قدرت عليه فأفعل به وأفعل ، فقلت له : ما رأيت منه ؟ فقال : رأيته وهو يجهر بالبسملة فى الصلاة » (٢) .

ثانيا : ــ انه ليس فى المذاهب المعتبرة فى العالم الاسلامي من يرى جواز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد صح عنه أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد جاء هذا الحديث بلفظه أو بمعناه فى روايات صحيحة فى مختلف المذاهب ، وقد بلغ من تشديد الشيعة الامامية فى ذلك أنهم يجعلون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسدا للصوم ، وأنه اذا وقع عمدا من الصائم فى رمضان، وجب عليه القضاء والكفارة ، كما يجبان على من تعمد سائر المفطرات (٣) .

ثالثا : ــ ان خلاف هؤلاء ليس من قبيل الخلاف على الأصول التي يكون بها المسلم مسلما ، وبجحودها أو جحود شيء منها يخرج من ربقة الاسلام ، واذن فينبغي الا ينظر فى التجريح الى مجرد اتباع الراوى لمذهب من المذاهب ، فلا يجوز للشيعي أن يقول ذلك فى مخالفه السنى ، ولا يجوز للسنى أن يقول ذلك فى مخالفه الشيعى .

وهذا عند التحقيق ما يعمل به أهل السنة والشيعة الامامية والزيدية ، وان تراءى من النظرة العاجلة أن كلا من الفريقين يرفض ما عند الآخر .

فالشيعة الامامية مثلا يعملون بالحديث الذى يسمونه « الموثق » كما يعملون بالأحاديث الصحيحة أو الحسنة فى اصطلاحهم ، والموثق عندهم هو ما رواه مسلم غير شيعى ، ولكنه ثقة أمين فى النقل (٤) .

وقد قبل البخارى وغيره من أصحاب كتب الصحاح التي يعتمدها أهل السنة، كثيرا من الرواة المعروفين بالتشيع ، وقد عد الشيخ شرف الدين الموسوى فى كتابه « المراجعات » مائة من الرواة المعروفين بالتشيع الذين أخذ أهل السنة برواياتهم .

والخلاصة : أن المنهج السليم فى القبول والرفض واضح لكل منصف .

---

(١) المرجع السابق فى الموضع نفسه . (٢) المصدر نفسه ص ٢٩٥

(٣) انظر كتاب المراجعات للشيخ شرف الدين الموسوى ص ٥٠ مطبعة العرفان سنة ١٣٧٣ هـ .

(٤) انظر الرسالة الوجيزة لبهاء الدين العاملى ص ٣



ابن العاص أنه قال : بعثنى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فاحتلمت فى ليلة شديدة البرد ، فأشفقت ان اغتسلت أن أموت ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له ذلك ، قال : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ، قلت ؟ ذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما) آية ٢٩ من سورة النساء ، فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا . فهذا اقرار منه صلى الله عليه وسلم لعمل عمرو بن العاص ، واقراره صلى الله عليه وسلم حجة شرعية ، لأنه لا يقر باطلا .

ج — وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم طرفا وأنكر الآخر فمثله : ما رواه البخارى فى كتاب الاجارة ، عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : انطلق نفر (١) من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ (٢) سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط (٣) الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم فقالوا : يأيها الرهط ، ان سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ . فقال بعضهم (٤) : نعم والله انى لأرقى ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا ! فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يقرأ (الحمد لله رب العالمين) (٥) فكأنما فك من عقال ، فانطلق يمشى وما به من علة، قال فأوفوهم جعلهم (٦) الذى صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا (٧) ، فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا (٨) ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ، فقال : وما يدرك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم (٩)

---

(١) كانوا نحو ثلاثين رجلا .

(٢) أى فى تلك الليلة التي استضافوهم فى أولها ، لدغته عقرب كما فى رواية أخرى .

(٣) وفى رواية لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين هم من أتباع هذا الرجل الذى ظهر بمكة ويقول انه رسول الله .

(٤) هو أبو سعيد أمير القوم .

(٥) سورة الفاتحة لأنها أم الكتاب وقد جمعت كل مقاصده من التوحيد والبعث وطلب الهداية للطريق المستقيم والبعد عن الضالين .

(٦) أعطوهم ثلاثين شاة بعددهم .

(٧) أى قال بعض هؤلاء الصحابة اقسموا هذا الجعل بيننا حتى يتصرف كل واحد منا فى نصيبه بما يراه من أكل أو غيره .

(٨) فقد لا يكون هذا الجعل حلالا .

(٩) أى فى الرقية بأم الكتاب ، وفى توقفكم من التصرف فى الجعل حتى تعلموا حكم الله .

اقسموا واضربوا لي معكم سهما (١)، وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

د ـ وأما ما وقع من خلاف بين طرفين من الصحابة ووافق صلى الله عليه وسلم كلا منهما فمثله ما رواه أبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء، فتيمما صعيدا طيبا، وصليا، ثم وجدا الماء قبل أن يخرج وقت الصلاة، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة، ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا له ذلك، فقال للذى لم يعد: أصبت السنة وأجزأتك صلاتك، وقال للذى توضأ وأعاد: لك الأجر مرتين.

ومثله أيضا ما حصل بعد الفراغ من حادثة الأحزاب، عندما أمر الله رسوله أن يسرع الى تأديب يهود بني قريظة، لخيانتهم العهد، وهجومهم مع مشركي مكة على المدينة، فنادى منادي الرسول، صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يصلين العصر الا في بني قريظة، فأسرع الصحابة الى الخروج وأدركتهم صلاة العصر في الطريق، فقطع بعضهم السير، وصلى العصر في الطريق، ثم استأنف السير، وأبى بعضهم وواصل السير، ولم يصل العصر الا بعد أن وصل الى بني قريظة، وقد غربت الشمس، فصلى العصر قضاء، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع الفريقان، فأقر كلا على ما رآه، وذلك أن الفريق الأول الذى صلى في الطريق، فهم أن من مراد الرسول صلى الله عليه وسلم عدم التباطؤ في الذهاب الى العدو، وهذا ممكن مع أداء الصلاة في وقتها، وفهم الفريق الآخر ان الأمر على ظاهره، فنفذه حرفيا، مهما ترتب عليه من تأخير الصلاة عن وقتها، فالكل مقصده حسن، والكل مأجور.

ومن ذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع، فجعلوا يسألونه فقال رجل: حلقت قبل أن أذبح، فقال: «اذبح ولا حرج» فجاء رجل آخر فقال نحرت قبل أن أرمي، فقال: «ارم ولا حرج»، فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم، أو أخر، الا قال: «افعل ولا حرج». وعدد بعضهم الأشياء التي سئل عنها النبي صلى الله عليه وسلم، في ذلك اليوم، حتى أوصلها بعضهم الى أربع وعشرين صورة، الحلق قبل الرمي، والحلق قبل الذبح، والذبح قبل الرمي، والافاضة قبل الرمي، والرمي والافاضة قبل الحلق، والافاضة قبل الذبح، والسعي قبل الطواف..

أقول: أليس في هذا دليل على أن كل فعل طلب من المكلف، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء فيه يحدد كيفيته، أو ترتيب بعضه على بعض، يكون الأمر فيه واسعا؟ يفعل المكلف ما يغلب على ظنه انه هو المطلوب، ولا حرج عليه بعد ذلك، لأنه لو كان غير ذلك، لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبينه للناس.

« وللبحث بقية تأتي ان شاء الله تعالى ».

---

(١) يقصد صلى الله عليه وسلم بذلك المبالغة في بيان أنه حلال، وضحكه كان سرورا بتوفيق الله لهم لما فيه قضاء حاجتهم في سفرهم.

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد المعاصر

العمل وتنظيمه في الإسلام

الحلقة الثالثة

للأستاذ : محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ القاهرة

اتضح مما قدمنا فى أساس هذا البحث أن الاقتصاد الاسلامي يعتمد اعتمادا كليا فى رسم منهجه على تعاليم الاسلام الخلقية العقيدية ، التي تمتد آثارها الى كل جانب من جوانب هذا المنهج ، بعكس الاقتصاد المعاصر ـ شرقي وغربي ـ الذى لا يعترف ـ باجماع علمائه ـ بأى تدخل للتعاليم الخلقية فى رسم مناهجه .

وقد بدأنا بالدعامة الأولى فى اى تنظيم اقتصادى ـ وهي دعامة المال ـ وعرضنا ما تفرضه تعاليم الاسلام الخلقية فى سياسة المال من تكاليف متصلة بملكية المال .

أما مدى قيام ولى الأمر بتنفيذ هذه التعاليم فهذا ما سوف نعالجه فيما بعد .

أما مقال اليوم فاننا نعرض فيه تعاليم خلقية لا تتصل اتصالا مباشرا بملكية المال ، وانما تتصل « بالعمل » باعتباره مصدرا من أهم مصادر ملكية المال ، نعرضها هنا فى ايجاز ، لأن « العمل » باعتباره الدعامة الثانية فى أى تنظيم اقتصادى سنخصص له مقالا قائما بذاته .

هذه التعاليم الخلقية التي تتصل اتصالا غير مباشر بملكية المال تفرض تكاليف على سلوك المسلم الاقتصادى فى مباشرته أى عمل .

العمل واجب

من هذه التكاليف أن الاسلام يفرض على كل مسلم السعى فى طلب الرزق وفى ابتغاء المزيد منه . فكل مسلم مكلف بمباشرة عمل نافع لنفسه وللمجتمع ، وكل مسلم حر فى اختيار العمل الذى يريد أن يباشره بما يتفق مع قدراته ومواهبه ، ولا يرد على هذه الحرية أى قيد يستند الى عدم انتسابه لطبقة معينة ، أو عدم حيازته لمركز اجتماعي معين . فالكفاية وحدها والمقدرة وحدها هما معيار أهلية الفرد . وبذلك كفل الاسلام تحقيق مبدأ مساواة الفرص بين الكافة : أساسه تحريم أى امتياز يستمده

مدعيه من حكم القانون أو من سيطرة ذوى السلطات ، وهدفه ضمان حرية العمل وتحرير السعى المشروع من كل عقبة تعوق انطلاقه .

والاسلام مع تقرير تكافؤ الفرص بين الكافة فى السعى المشروع ، لا يحتم وجوب المساواة فى ثمار هذا السعى ، فهو يعترف بالتفاوت الفطرى بين الأفراد فى الملكات والمواهب والجهود . ولكن هذا التفاوت — ما دامت الفرص متكافئة فى اتاحتها للكافة — لا يمس تماسك المجتمع .

وقد أيد الاسلام حرية العمل ، وحبذ انطلاق السعى من طريق آخر غير مباشر ، وذلك بما قرره من أن أى عمل سواء كان يدويا أو ذهنيا يقتضي الحذق أو لا يقتضيه — يتمتع باحترام المجتمع . فالبطالة فقط ، وعيش المرء عالة على سعى غيره، هي التي تستوجب الاحتقار .

وبكفالة تكافؤ الفرص على هذا النحو ، وتقديس العمل الصالح فى أى ميدان من ميادين السعى لخير الجماعة وخير الفرد ، وضع الاسلام الأساس المتين لحرية السعى فى ابتغاء الرزق ، وأشبع غريزة الانسان فى الظفر بنصيبه من الدنيا .

ولكن الاسلام فى الوقت ذاته أحاط هذه الغريزة الفطرية بسياج من دستور سلوكه الاقتصادى يحمى المسلم من تجاوز الحد المرسوم فى ابتغاء الرزق ، ويضبط من غلواء الحافز الذاتى نحو المزيد من الكسب ، مشروعا كان أو غير مشروع . حقق الاسلام هذه الغاية بتقريره أن كل عمل « عبادة » وأضفى على كل « عمل » صبغة تعبدية ، وكيف يتقبل الله عبادة المسلم فى عمله اذا اتجه به الى الحاق الضرر بغيره ، أو بالمجتمع ، ولم يتجه به الى تغليب الخير العام على الحافز الذاتي نحو الكسب بأى ثمن ، بل ان القرآن الكريم كلما ذكر الايمان قرنه بأداء العمل الصالح ، فجعل دأب المسلم على انجاز العمل واجادته وتوجيهه الى الخير العام شرطا لاكتمال ايمان المسلم .

أما الايمان وحده — بغير أن يقترن بعمل صالح يهتدى بضوء هذا الايمان — فليس الا موقفا سلبيا لا فضل فيه .

وقد يشك البعض فى قدرة هذا الوازع الدينى على الحد من جشع الانسان فى طلب الدنيا ، واندفاعه نحو كسب المال بأى ثمن ، ويتساءل : ما تكون قيمة هذا الوازع ازاء قوة الانانية القاهرة ؟ .

ونجيب على هذا التساؤل برأى علماء الاجتماع الغربيين أنفسهم : فهم يسلمون بأن الناس فى الوضع الذى أصبحوا فيه وهيئوا له منذ طفولتهم انما يحفزهم الى السعى والكدح حافز واحد ، هو مصلحتهم الذاتية بغير وزن لأى اعتبار آخر . ألفوا هذا الوضع ودرجوا عليه واصطبغ به وجدانهم . ولكن هذا الوضع نشأ من تأثير البيئة التي درجوا فيها من البداية ، بيئة ترفع من شأن خدمة المصلحة الذاتية ، والنجاح فى مجالاتها ، وتخفض من شأن المصلحة العامة اذا مست المصلحة الذاتية بأى نقص ، فلو انعكس هذا الوضع ، وساد فى البيئة شعور بوجوب توازن المصلحتين ، ودرب الناس على التمسك بتحقيق هذا التوازن من البداية ، لاستجاب الناس اليه ، واتجه حافزهم فى السعى من الأنانية المطلقة من كل قيد الى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع .

وهذا هو بالذات نهج الاسلام التدريبي فيما فرضه من عبادات ، وغرسه من توجيهات ، تخلق فى البيئة هذه الاستجابة السيكولوجية وتنميتها تنمية مستمرة .

المنافسة الشريفة

أما فى المنافسة فيدعو الاسلام الى التنافس فى الخير ، والتسابق فى اجادة العمل مع التزام التعاون المثمر : أهم أركان الاقتصاد الاسلامي . فالأمر القرآنى الصادر الى المسلم بالعمل الصالح ، هو الأمر المكرر فى ثنايا الآيات القرآنية ، « والعمل الصالح » تعبير شامل يشمل البر المباشر من جانب ،

ويشمل من جانب آخر البر غير المباشر ، وهو الذى يتمثل فى كل عمل يدخل فى نطاق أوضاع النشاط الاقتصادى ، ويؤدى التنافس فى اجادته الى خفض تكاليف الانتاج مما يمكن المستهلك من الحصول على مطالبه من السلع أو أو الخدمات بثمن أقل . فهذه حسنة يؤديها المسلم الى بيئته ، والتنافس فيها بين المسلمين محمود ومطلوب ، بعكس الاحتكار وما يفضى اليه من غلاء فمكروه ومنهى عنه .

غير ان هذا التنافس ، ان كان الاسلام قد دعا اليه وحبذه ، فانه يدعو أيضا الى مباشرته فى رفق وبر ، ويحيطه بنواة خلقية تنأى به عن الكيد للغير ، أو تعمد ايذائه ، فهذا الاتجاه اذا فشا فى مجتمع أساء الى تعاونه اساءة بالغة وزعزع تماسك كيانه . ومن تعاليم الاسلام فى هذا الصدد ، الموجزة فى تعبيرها كل الايجاز (الدين النصيحة ــ الدين المعاملة) . فمسلك المسلم فى التعامل مع أخيه المسلم وفى اسدائه النصح له ، ركن من أركان اسلامه .

ونستطيع أن نتصور مقتضيات هذا الركن فى مجال التنافس . فمثلا يجب على المسلم اذا رأى خسارة لا مرد لها ستحيق بمنافسه من جراء سبق أحرزه فى ميدان الانتاج المشترك بينهما ، أن يبرىء ذمته باسداء النصح له بأن يغير من طريقة انتاجه،أو يدعوه الى مشاركته فى مشروع تعاونى ، أو يرشده الىمباشرة عمل آخر يكون أكثر انسجاما مع ملكاته ، وهلم جرا . أما أن يكيد له فى السر والعلن ليخرجه من السوق ، ويستأثر وحده بمغانمها ، فهذا ما لا تجيزه روح التنافس الاسلامي .

عيوب الاقتصاد الغربى

اما فى الاقتصاد الغربي الذى يطلق حق الملكية ويحرره من أية تكاليف خلقية أو اجتماعية . فنجده يقرر أن الحافز الاقتصادى ــ أىالكسب المادى البحت ــ هو التبرير الكافى لكل أنواع النشاط الانساني ، بصرف النظر عن أى اعتبار خلقي أو اجتماعي ، وطالما لم تفرض الدولة قيدا على اتجاهات هذا النشاط فحرية العمل فى رأى الاقتصاد الغربي تعتبر كاملة .

هذا التفسير الذى ينحى جميع الاعتبارات الخلقية ، هو التفسير السائد فى الاقتصاد الغربي . وقد حمل عليه فى السنوات الأخيرة كثير من الاقتصاديين والمفكرين فى الغرب .

ان الفساد الذى نشأ عن هذا التفسير الغربي للحافز الاقتصادى وحرية العمل ليضيق مقال اليوم عن الاسهاب فيه ، وسنعود الى تفصيله فى المقارنة التي التي سوف نعقدها بين اقتصاديات الاسلام فى « العمل » وما يقابلها فى الاقتصاد المعاصر ، ونكتفى هنا بما يقرره اثنان من علماء الاقتصاد الغربي :

قال الأستاذ (وارنر سومبارت) ملخصا هذا الفساد عندهم فى كلمات قليلة : « ان المثل العليا عن قيمة الذات الآدمية قد فقدت سيطرتها على عقل الانسان ، والجهود التي يجب أن تبذل لتنمية الرخاء الانساني وأسعاد البشرية لم تعد لها أية قيمةأو تقدير . انالوسيلة أصبحت غاية » . ويقول الأستاذ (جون آيز) أستاذ الاقتصاد فى جامعة (كانساس) الامريكية « لقد أصبح رجال الأعمال عندنا تائهين فى مطاردة المال الذى يجب أن يكون وسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية فى ذاته ، حتى نسوا الغاية ، وأمعنوا فى التعلق بالوسيلة » .

رجوع لرأى الاسلام

وقد يهم المسلم أن يطلع على العلاج الذى يقترحه الآن علماء الاجتماع فى الغرب لاصلاح الفساد الذى تغلغل فى مجتمعهم : فصاروا يناشدون مجتمعهم

أن يأخذ بعلاجهم المقترح ، فيقولون : « ان الناس اذا سلمنا بأنهم أنانيون فى هذا العصر ، ومسرفون فى هذه الأنانية ، فان مرجع ذلك ، فى كله أو بعضه ، الى تأثير البيئة التي اكتنفتهم والى التقاليد التي درجوا عليها ، فهم من المهد الى اللحد يشعرون بالتوكيد الجازم على تقديس المال باعتباره معيار كل احترام ، ومبعث كل كرامة فى المجتمع . ويرى هؤلاء العلماء أن الناس لو كانت بيئتهم تقدس مثلا عليا أخرى غير عبادة المال . ودربوا تدريبا متصلا على الايمان بهذه المثل والتمسك بها ، لتحققت استجابتهم لها بنفس القوة التي يبذلونها فى طلب المال .

وظاهر أن هذا الرأى الذى ينادى به علماء الاجتماع فى العصر الحاضر هو أقرب ما يكون اتساقا مع موقف الاسلام من مشكلة الحافز الاقتصادى . ولكنه من حيث قوة نفاذه يعوزه الكثير من فاعلية التدريب النفسي الذى امتاز به التوجيه الاسلامي . ذلك لأن تربية الانسان على مقاومة نزعات النفس البشرية ، فى جموحها الى طلب المال بأى ثمن ومن أى وجه ، يتطلب ايقاظ قوة باطنية فى وجدانه تستند الى وعى دينى حى .

أما المنافسة فى المجال الضيق الذى لا زال باقيا لها فى الاقتصاد الغربي ، فقد تجردت من كل القيود الخلقية وانحدرت الى صراع قتال ، كما أن انعدام تكافؤ الفرص قد أحالها الى سباق مزيف لا يكتب السبق فيه لأجدر المتنافسين .

وهذا تأكيد اضافى ــ ان احتاج الأمر لمزيد من التأكيد ــ بأفضلية التصوير الاسلامي لنظام المنافسة فى انعكاسه على كيان المجتمع .

كذلك اتجه الاقتصاد الغربي الى خلق تكتلات احتكارية ، نجحت فى الانطلاق من شباك التشريع المحرم للاحتكار ، واحتكارها الفعلي هذا ، بتقييده للعرض وفرضه لاسعار مدبرة ، وسيطرته على الاسواق الداخلية والخارجية ، قد أفسد السريان التلقائي لقانون العرض والطلب ، وقضى على حرية العمل ، وساعد على قيام كتل جبارة قليلة امتد نفوذها الى القبض على زمام كل نشاط اقتصادى فى المجال الداخلي والعالمي ، حتى استطاع أن يعرقل كل نشاط اقتصادى منافس .

وبعد ، فهذه جوانب التعاليم الخلقية الاسلامية فيما تفرضه من تكاليف غير مباشرة تتصل بالعمل ، المصدر الأول للملكية الفردية ، رأينا الاشارة اليها مع المقارنة بما يقابلها فى الاقتصاد الغربي ــ استكمالا لبيان موقف الاسلام من ملكية المال .

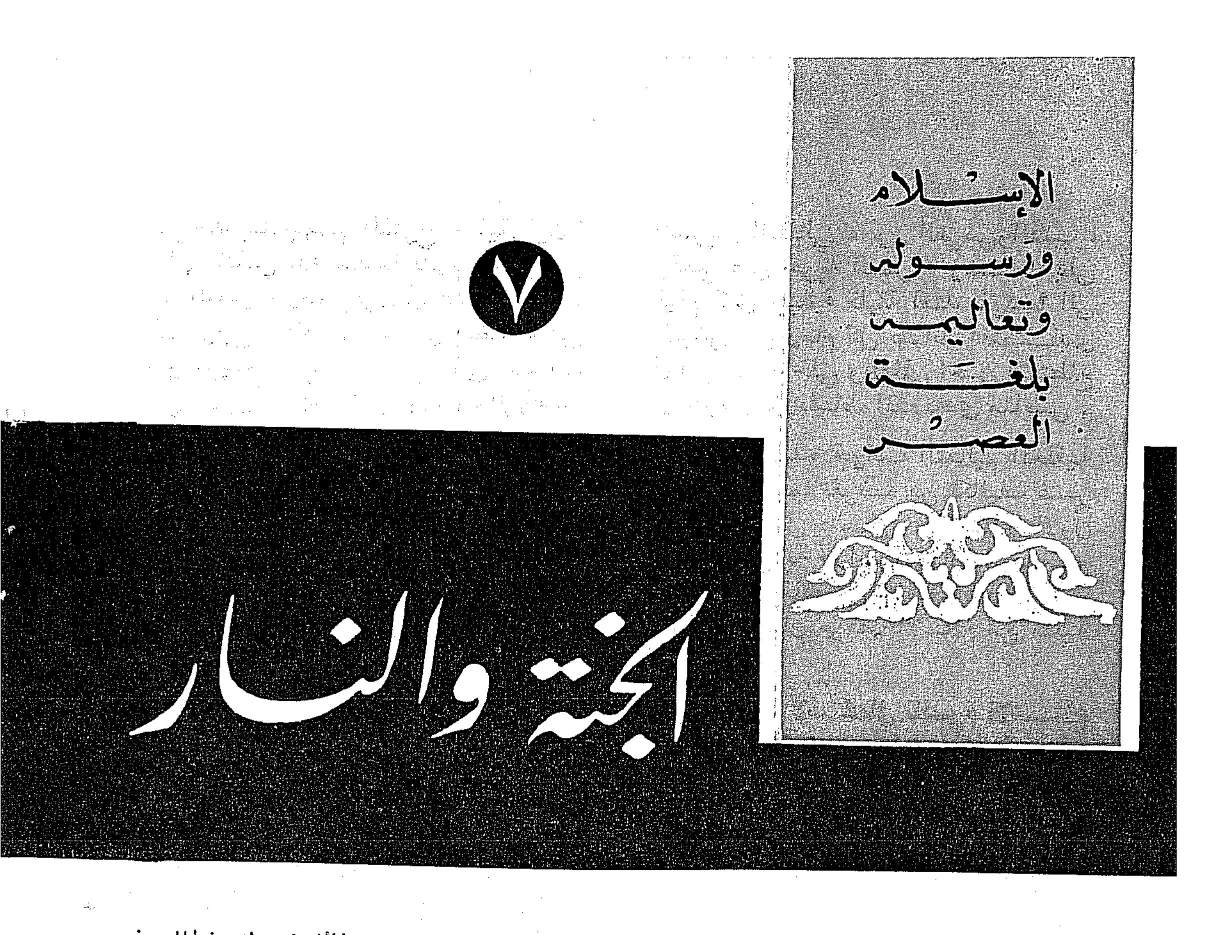
بقى علينا لاستكمال نظرة الاسلام الى المال وملكيته ، وما فرضه على هذه الملكية من تكاليف ايجابية وسلبية ، أن نتساءل : هل الاسلام ــ بالاضافة الى هذه التكاليف ــ فرض على مالك المال اتجاها معينا فى استثمار هذا المال ؟ .

هل ترك له الحرية المطلقة فى أن يبقى ما يتملك من مال معطلا عن الاستثمار ما دام لديه من الثروة ما يغنيه عن متاعب الاستثمار ؟ .

واذا مضى فى استثمار ماله هل له الحرية المطلقة فى أن ينتهج اسوأ أساليب الاستثمار وأقلها نتاجا اذا كشف العلم يوما من الأيام عن أساليب أخرى أجزل استثمارا ؟ .

وأخيرا ــ وهذا سؤال نوجهه الى كل مجتمع اسلامي ــ هل ملاك المال فى أى مجتمع اسلامي لهم الحرية المطلقة فى أن يركزوا استثمار أموالهم فى مسلك واحد كالزراعة مثلا ، معرضين عن المسالك الأخرى التي قد تمليها ضرورات المجتمع ؟ ..

ذلك ما سوف نعالجه فى المقال القادم ، الى جانب محاولة تحديد سلطة ولي الأمر فى مجتمع اسلامي فى تنفيذ التكاليف المباشرة المفروضة على ملكية المال ، من ايجابية وسلبية ...



الجنة والنار

فأما وقد بينا ان الموت لا يعدو ان يكون مجرد تغير وانتقال من صورة لاخرى ، وان تجدد الحياة وبعثها هو احد سنن الطبيعة الجارية ، فان السؤال الآن : وماذا عن الجنة والنار ، أيقر بنا العلم الحديث التجريبى من تصورهما وفهمهما ، كما فعل بالنسبة للبعث والحياة الثانية ؟

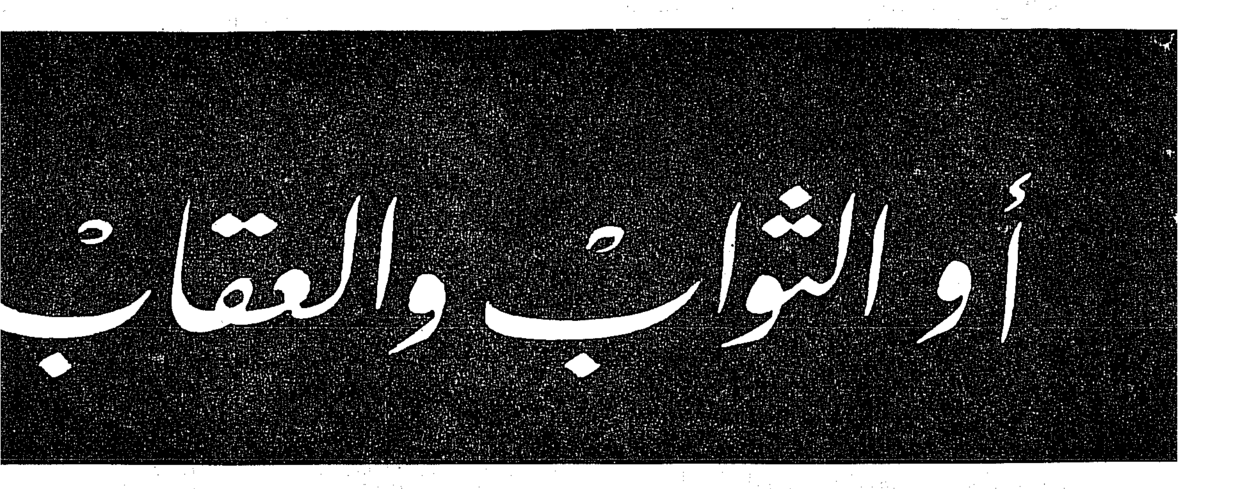
احق ما تقوله الاديان من أن أعمال الانسان مسجلة ومحصاة عليه ، وانه سوف يواجه بها يوم القيامة ، فيؤاخذ بما قدمت يداه ، فاما الى الجنة واما الى النار ؟

ان هذا السجل لاعمال الانسان واقواله وتصرفاته ، ومجابهته بها ، قد اصبح احد الاجراءات التى يواجه بها المتهمون فى هذه الحياة الدنيا ، بعد ان تكشف للانسان من حقائق الطبيعة واسرارها ما تكشف ، وصنع من الآلات ما صنع .

وقد اصبح من المألوف ان نطالع فى الصحف والمجلات ، او نسمع فيما نسمع من اخبار ما يجرى فى الدنيا ، ان بعض المتهمين الخطرين ، يواجهون بسجل كامل لكل ما تلفظوا به خلال العديد من السنوات ، حتى همساتهم ، وتأوهاتهم فى مباذلهم ، وتردد الانفاس ووقع الخطا وحفيف القلم وهو يجرى على القرطاس ، ورنين التليفون ، ودقة الساعة ، وفتح باب او غلقه ، كل ذلك يجابهون به، ويسمعونه مكبرا ، فيكادون يقعون مغشيا عليهم من فرط الذهول ، بل انه ليغشى عليهم بالفعل .

ولقد كانت هذه التسجيلات تتم حتى وقت قريب بوضع اجهزة فى داخل بيت الانسان المقصود او فى مكتبه وسيارته ، ولكن الاجهزة الاحدث صنعا اصبحت فى غنى عن ان توضع فىالبيوت ، ويكفيها ان توضع عن بعد امام النوافذ من الخارج ، لكى يتكفل الزجاج بنقل كل ما يجرى داخل البيت ، اذا كانت

بقلم / أحمد حسين المحامى



النافذة مغلقة ، والهواء الخارج من النافذة اذا كانت مفتوحة .

فحق اذن ما توعدت به الاديان ، من ان كل لفظ يخرج من فم الانسان ، مسجل على صفحة هذا الكون ، ومن الميسور استعادته بنصه وحرفه .

ويكون العلم (والتكنيك (الحديث ، قد قربا الى تصورنا هذا الكتاب الذى سيلقاه كل منا يوم القيامة منشورا .

الثواب والعقاب

ونمضى فى بحثنا خطوة اخرى ، فنتساءل « وما الجنة والنار » ؟ وليس ايسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار ، فى هذه المرحلة من حديثنا ، أن نستبدل بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما الثواب والعقاب .

وعندنا انه يجب النظر الى اللجنة والنار دائما، على ضوء هذا المعنى الاوسع والاعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة او النار ، والتى يجب أن تفهم على ضوء اساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه .

وعندنا ان رد مفهوم الجنة والنار ، الى جوهرهما ومعناهما الاصيل ، وهو فكرة العقاب والثواب ، يجعلهما من سنن الوجود الانسانى، الذى لا يقوم بغيرهما . فاذا كان الوجود الانسانى يقوم على المشاعر والاحاسيس الوجدانية من ناحية ، وعلى العقل والفكر من ناحية اخرى ، فان جوهر العقل ، هو التمييز بين الخطأ والصواب ، والصواب فى تقدير العقل هو الخير ، والخطأ هو الشر ، ولا خير الا ما يعود على الانسان بالنفع أى المكافأة ، ولا شر الا ما يعود على الانسان بالضر أى العقاب .

وكذلك الشأن بالنسبة لإحاسيس الانسان ومشاعره ، فهذه الأحاسيس والمشاعر ، تنقل الى الانسان فى كل لحظة

الجنة والنار
أو الثواب والعقاب



وما دون اللحظة ، ما يسر ويبهج ، وما يؤلم ويحزن ، وفى تقدير المشاعر ان ما يسر ويبهج هو الخير ، وما يؤلم ويحزن هو الشر .

ومعنى ذلك انه ما من حركة يتحركها الانسان ، او قولة يتلفظ بها ، او فكر يمر فى خاطره ، الا وله رد فعل سار ومبهج ، او مؤلم ومحزن ، نافع او ضار ، او بالاحرى ثواب وعقاب .

قوانين الطبيعة

وكل مخالفة لقوانين الطبيعة لا يمكن الا ان تؤدى بالانسان المخالف الى الحسرة والالم ، بما فى ذلك فقد الحيلة نفسها ، كمن يقذف بنفسه من حالق او يرتمى تحت عجلات قطار ، او يشرب سما ، او يحرق نفسه بالنار ، وتظل العقوبات تدق وتدق وتصغر تبعا لدرجة المخالفة ، حتى تصبح زكاما لمجرد التعرض للبرد ، او تخمة لمجرد الافراط فى الاكل .

وذلك فى الوقت الذى يؤدى التوافق مع سنن الحياة ، وقواعد الصحة ، الى الغبطة والمسرة ، وطول العمر .

قوانين المجتمع

والانسان باعتباره عضوا فى جماعة ، لا يمكن ان يهنأ او يسعد ، الا بمقدار ما يتوافق مع عادات الجماعة وتقاليدها ، والعرف الشائع بينها ، والا اذا التزم بالقوانين التى وضعتها الجماعة وفرضت العقاب على مخالفتها ، وهو يشقى ويتألم ، وقد ينفى او يسجن او يجلد ، وقد يخسر حياته كلها جزاء مخالفة هذه القوانين .

الضمير الانسانى

ولكل انسان قبل ذلك وبعد ذلك ، قانونه الخاص به ، وقاضيه وحاكمه ، وهو هذا الصوت الخفى فى اعماق نفسه ، والذى لا يفتأ يعلق على تصرفاتنا ، ما يجوز منها وما لا يجوز ، ما يرضى عنه وما لا يرضى ، وقد يصل تأنيب الضمير عند بعض الناس الى حد ازهاق حياتهم للتخلص من وخز الضمير .

ونخلص من ذلك كله : ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل يحسه الانسان فى نفسه ، وبالنسبة للاخرين .

جرائم تمضى بغير عقاب ، واعمال صالحة بغير مكافأة ..

هذا الناموس الطبيعى من وقوع رد فعل لكل فعل او تصرف ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، يتوقف عن العمل فى الظاهر ، فيرى الناس جزاء سيئا ، حيث كانوا ينتظرون مكافأة ، ويجدون اقواما يكافأون حيث كان يجب أن يعاقبوا .

وطالما وقف الانسان حائرا امام هذه الظاهرة ، وسيظل تحيره ، كيف يمكن للقاتل ان يقتل والسارق ان يسرق ، والظالم ان يظلم ، والمعتدى ان يعتدى ، دون ان يجد رادعا من الطبيعة او المجتمع او من نفسه ، أيكون هذا الوجود كله وهما وخداعا ، فلا صواب ولا خطأ ، ولا حق ولا باطل ، ولا خير ولا شر ، ولا لذة أو ألم ؟ أيكون من يقتل كمن لا يقتل ، ومن يزنى كمن يعف ، ومن يظلم كمن يعدل ، ومن يعمل ويصلح كمن يفسد ويكسل .

لقد قال بالفعل هذا القول بضع نفر أظلمت نفوسهم ، وفسدت عقولهم ، أما كل من فى نفسه ذرة من ايمان ، او قبس

من عقل ، فهو يعلم ان هذا الوجود حق ، ونواميسه حق ، وان هذه النواميس لا يمكن ان تتوقف ... وعلى رأس هذه النواميس ، ما قدمناه من ان كل فعل لا يمكن الا ان يكون له رد فعل ، ان لم يكن عاجلا فآجلا .

والمؤمنون بالله العادل الرحيم ، لا يتزعزع يقينهم فى أن الثواب والعقاب آتيان لا ريب فيهما ، ان لم يكن فى حياة الانسان فبعد وفاته .

محكمة التاريخ ولعنة الاجيال

وليس ادل على ان العقل يستحيل عليه تصور أمور على غير هذا الوجه ، من ان الماديين الذين لا يؤمنون بالله ، والذين ينكرون ما تقول به الاديان من حقيقة الحساب يوم القيامة ، لا يلبثون ان يخلقوا (الها) من اوهامهم ، ليتولى الحساب والثواب والعقاب ، ويطلقوا على هذا الاله اسم التاريخ ، فيحدثوننا عن التاريخ الذى يقف بالمرصاد ، وعن محكمة التاريخ التى تنصف المظلومين ، وتعاقب الظالمين ، ويتحدثون عن ثناء الاجيال على من يستحقون الثناء ، ولعنتها على الطغاة والمستبدين وكافة المعتدين ، وينسون ان حكاية التاريخ هذه لا تحل المشكلة وان التمسح بها لا يعدو ان يكون سفسطة ومجرد شقشقة، لان التاريخ لا يسجل بين دفتيه الا اعمال المشاهير من الناس ، وهم لا يكادون يعدون على الاصابع فى كل جيل من الاجيال ، حيث تمضى البقية الباقية من البشر ، والتى تعد بآلاف الملايين يلفها الصمت ويطويها النسيان ، مع انه ليس من هذه الملايين من لم يعش حياته ، ويؤدى دوره فى الوجود ، بالاحسان او الاساءة ، بالخير أو الشر ، فما هو مصير هذه الملايين التى يغفلها التاريخ ؟

ويبقى ان نسائل هؤلاء الذين يحدثوننا عن محاكم التاريخ ، وعن لعنة الاجيال او شكرها وثنائها ، هل يحس الظالمون والطغاة والمعتدون ، والمسيئون بهذه اللعنات ، وبنتيجة هذه المحاكمة ؟ وهل يفرح المظلومون والصالحون بأحكام التاريخ والاجيال المقبلة بانصافهم ، فان قال الماديون : انهم يحسون ويشعرون ، فقد هدموا نظريتهم المادية من اساسها والتى لا تعترف بخلود الروح بعد فناء الجسد ، ويكونون قد التقوا مع المؤمنين فى حقيقة الثواب والعقاب بعد الموت .

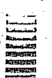
وان قالوا ان الموتى لا يحسون او يشعرون ، فما جدوى التخويف اذن بمحاكم التاريخ ولعنات الاجيال المقبلة او ثنائها ، الحق ان التمسح بحكاية محاكم التاريخ وحكم البشرية ، لا يحل الاشكال ، ولا يشفى النفس مما تجد وتعانى من ظلم لا تستطيع له دفعا ، او خير تعمله ولا تجد عليه جزاء .

وليس سوى الايمان باله عادل رحيم ، يعيد التوازن المفقود فى عالم آخر ، يقول للمحسن أحسنت ، وللمسىء أسأت ، مما يسبغ على نواميس الحياة معنى ، ويبقى الاحساس بالخير والشر ، والصواب والخطأ قائما حيا فى النفوس ، مؤثرا فى تصرفات الناس .

الجنة والنار عند مختلف الشعوب

ومن هنا كانت فكرة الثواب والعقاب، او الجنة والنار ، هى لب سائر العقائد والاديان الانسانية على مر العصور واختلاف البقاع ، يجدها عند قبائل الهنود الحمر وعند الزنوج ، وعند الاسكيمو ، وعند الشعوب المتبربرة والمتحضرة على السواء ، فتراها بأكمل معانيها عند المصريين القدماء وعند السومريين والبابليين والاشوريين ، كما نراها عند اتباع زرادشت وعند الهندوكيين والبوذيين والصينيين والاغريق والرومان على صورة او

الجنة والنار
او الثواب والعقاب



اخرى ، «١» وتحدثنا الاناجيل عن مملكة السماء ، وعن النار ، اما القرآن الكريم فيحدثنا عن الجحيم والسعير وجنة عرضها السموات والارض ، أعدت للمتقين مما سنتعرض له بالتفصيل عند دراسة الدين الاسلامى .

وبحسبنا الان ان نقرر ، ان الجنة باعتبارها خاتمة المطاف لمن عمل صالحا فى هذه الدنيا ، فكرة تضمنتها عقائد واديان كل الامم والشعوب .

جنة الماديين على الارض

حتى الماديين الذين اتخذوا من المادة الها ، لم يستطيعوا ان ينفكوا من هذا التصور ، فحدثونا عن الجنة الارضية ، التى يعيش الناس فيها خالدين ابدا ، بعد ان ينجح العلم فى التغلب على الامراض والموت ، وحيث يزول القهر والاعنات والحقد فى معاملات البشر ، ولا يكون بينهم سوى المحبة والاخوة والسلام ، وحيث ينعمون بالخير الوفير العميم .

وهذه الجنة الارضية الموعودة، ليست سوى شقشقة كالتحدث عن محكمة التاريخ ، فما جدوى التحدث عنها ، اذا لم تكن الاجيال المتحدث بها اليهم هى التى ستستمتع بها وتنعم ؟ !

والمهم أن فكرة الجنة تلح على عقول البشر ايا كانت عقائدهم واديانهم ، سواء آمنوا بالله او لم يؤمنوا ، ولقد اكدنا من قبل ان استقرار اى فكرة بهذا الاجماع فى نفوس البشر قاطبة ، هو اقوى دليل على حقيقتها الثابتة ، والا لما عرفت طريقها الى عقول البشر .

العلم التجريبى وموضوع الجنة والنار

ونتسائل كما تساءلنا من قبل ، ما هو موقف العلم التطبيقى الحديث ، من موضوع الجنة والنار ، هل ما تكشف لنا منه يقضى على هذه الفكرة او يعززها ، وهل يرجح ما يقول به الماديون من ان الجنة ستكون على الارض ، ام انها فى السماء ، وهل تحوى السماء نارا وسعيرا كهذا الذى تتحدث عنه الاديان .

فأما ان فى السماء جحيما وسعيرا ضعف ضعف ما وصفته العقائدوالاديان، فقد اصبح ذلك احدى الحقائق العلمية التى لا تحتمل جدلا او شكا ، فما الشمس التى تشرق علينا الا مخيط من النار والسعير ، وبحسب الارض ان تقترب منها بعض الشىء لكى يحترق كل من عليها ، وبحسبها أن تقترب أكثر ، لكى تحترق هى نفسها وتتحول الى غازات ، وما الشمس الا احد هذه النجوم التى لا يكاد يحصيها العد ، والتي يكون أى واحد منها ابعادا من النيران التي لا نتخيلها وسعيرا يرتجف الفؤاد من تصوره .

الفضاء الكونى والجنة

واليوم وقد بدأ الانسان يضع اقدامه على عتبة الفضاء ، بدأنا نسمع عجبا ونشهد ما هو أعجب ، بدأنا نرى عالما يختلف كل الاختلاف عن عالمنا الارضى ، وعن نواميس غير نواميسنا ، فالانسان فى الفضاء يطفو ولا يسقط ، يمشى على جنبه او على رأسه أو على قدميه فى أى اتجاه شاء ، لا يعرف له فوقا او تحتا او يمينا او شمالا ، ولا يحس بالسرعة ولا

البقية على ص ٨٣

(١) أقرأ للمؤلف « كتاب الطاقة الانسانية » تفاصيل الجنة عند مختلف الشعوب .



«الانسان مخير لا مسير ، ولكنه لا يستطيع أن يسير الا فى الطريق الذى رسمه القدر» .

للأستاذ : على الطنطاوى

ــ زرت صديقا لى ، من رفاق الصغر ، فرأيت ولده منكبا على أوراق له ، يفكر ويكتب ، ثم يمزق ما كتب ، ثم يعود الى التفكر . فقلت لأبيه : ما له ؟

قال : انه مستغرق فى (الانشاء)

قلت : فيم يكتب ؟

قال : فى الموضوع الازلى الذى لا يمل منه مدرسو الانشاء ، ولا يسأمون من ترديده .

قلت : ما هو ؟

فضحك وقال : السؤال الذى يلقى فى كل بلد ، و فى كل وقت ، لا يتبدل بتبدل الامكنة ولا الأزمان . وهو : « ماذا تريد أن تكون فى المستقبل ؟ » .. وسكت لحظة . كأنه يتذكر . ثم قال لى :

ــ تذكر كم مرة سئلنا هذا السؤال فى المدرسة ؟

قلت : أذكر ، لقد كتبت فيه مرات لست أحصيها . عشرين مرة ؟ ثلاثين ، أكثر من ذلك ! وكنت فى كل مرة أنطلق مع أحلامى أتخيل دروب الحياة وقد فرشت لى بالسجاد الذى تغوص فيه من لينه الاقدام . ثم رشت عليها العطور ، ونثرت فوقها الأوراد والزهور .

لقد طالما تخيلت نفسى هائما فى رياض هذا المستقبل ، انشق ريا عطره ، واجتلى جمال زهره ، وارتع فى خيره المرجى وبره .

تصورت نفسى طبيبا له العيادة الكبيرة ، والزبائن الكثر ، وعشت فى هذا الحلم حتى تخيلت نفسى أرى « اللوحة » على بابى ، وأمد يدى لألمس « السماعة » فى عنقى .

وتصورت نفسى ضابطا كبيرا ، قد هبطت النجوم من سمائها حتى استقرت

على كتفيه ، ونزل البرق حتى صار يخرج من قرع مهمازيه .

وتصورت نفسي صاحب المزارع الواسعة الشاسعة . والحقول المرعة المزهرة ، أفيق فيها مع العصافير لأتطلع اليها ، أكحل العين فى الأصباح بمرآها .

وتصورت وتصورت ، فأين مني الآن تلك التصورات ؟

لقد أردت لنفسي ، وأراد الله لي ، فكان ما أراد الله لي ، لا ما أردت لنفسي .

كنت من شهور أقلب أوراقا لي قديمة ، أفتش فيها عن وثيقة أطلبها ، فوجدت (ايصالا) هذا نص ما فيه :

المملكة المصرية
دار العلوم العليا
نادى التمثيل والموسيقى

نمرة متسلسلة (٧٠)

وصل من حضرة العضو محمد على الطنطاوى الطالب فى دار العلوم العليا مبلغ ١٠ فقط (عشرة قروش صاغ) قيمة اشتراكه عن شهر أكتوبر سنة ١٩٢٩ .

تحريرا فى ١٥ أكتوبر ١٩٢٩
الخاتم الرسمى
أمين الصندوق
الامضاء (محمد على الضبع)

على الطنطاوى عضو نادى التمثيل والموسيقى ؟!

وتصورت ماذا تكون خاتمة القصة التى بدأت بهذا الايصال لو قدر لها أن تكتمل فصولا .

الى أين كان يصل بى ذلك الطريق الذى وضعت قدمى عليه ، يوم صرت عضوا فى هذا النادى لو أنى تابعت السير فيه حتى بلغت آخره ؟

كنت ابدأ ممثلا فى الكلية ، ثم أعتلى خشبة المسرح ، ثم أدخل فرقة من الفرق ثم يسجل اسمى فى القائمة التى تبدأ باسم (يوسف وهبى) وتنتهى باسم (اسماعيل ياسين) .

فيكون (على الطنطاوى) اليوم ممثلا عجوزا (١) متقاعدا ، يتسكع على أبواب الحانات ، ويعاشر القينات ، ويسهر الليالى ، وينام الايام (٢) ، ويعود بلا صحة ولا مال ، وربما عاد بلا دنيا ولا دين .

ولم يكن يحول بينى وبين هذه الغاية شيء . فالاستعداد لذلك فى نفسى كبير والرغبة فيه شديدة، وكان يزين لى فأراه يومئذ حسنا ، ولكن الله صرفنى عنه . وما كان ذلك بعمل منى . ولكن بصنع الله لى .

وفى أوراقى التي وجدت فيها هذا (الايصال) شهادة مكتوبة بالخط الديوانى ولها اطار مذهب الحواشى ، وفى رأسها اسم وزارة الاوقاف ، فيها قرار تعيينى اماما فى جامع رستم فى حى العقيبة فى دمشق .

اى والله ، وتاريخها سنة ١٩٢٤ . أى من ثنتين واربعين سنة شمسية .

انى لانظر الى هذه الشهادة ، وأرجع البصر الى ذلك (الايصال) الذى اصفر لونه ، وبلى ورقه ، وتمزقت طياته ، فارى عجبا . دونه والله ما يشطح اليه خيال القصاص .

من امام جامع ، الى ممثل فى (التياترو)

---

(١) كلمة عجوز فى الاصل للمرأة ولكنها عمت فى الاستعمال .
(٢) اليوم فى الاصل النهار .

ولكن كيف دخلت نادى التمثيل والموسيقى ؟

انى لاتأمل هذا (الايصال) ، فأعود الى أيامى الماضيات الى سنة ١٣٤٧ ،وقد نلت شهادة البكالوريا كما كنا نسميها يومئذ ، أو التوجيهية كما تسمى اليوم وكان الفرنسيون قد أنشأؤها تلك السنة فحملتها وسافرت الى مصر ،فدخلت دار العلوم العليا ، وانتسبت الى الجامعة المصرية وكنت أول سورى يؤم مصر للدراسة العالية فى غير الازهر ، وكنت أحرر فى مجلتى خالى وأستاذى محب الدين الخطيب : المجلة الادبية الاولى فى العالم العربى ــ وهى (الزهراء) والمجلة الدينية الأولى فى العالم الاسلامى . وهى (الفتح)

وأعلنت عمادة الكلية (أو مديرية المدرسة كما كانت تسمى) عن تأليف ناد للتمثيل والموسيقى ، ودعوا من يريد الاشتراك فيه الى طلب الانتساب ،فكنت فيمن أراد .

وجاؤونا برجل (ممثل) يعلمنا التمثيل قصير متحذلق لا أدرى ما صنع الله به ، بعد هذه السنين ، التى قاربت الاربعين ولاأزال أذكر اسمه حفظته لغرابته ــ وان كان مكان الاسماء من ذاكرتى قد كثرت فيه الخروق التى لا ترقع .

واختبرنا بجمل نلقيها القاء مسرحيا على أن نعبر عن معانيها بخلجات وجوهنا ، ولهجات حروفنا واشارات أيدينا ــ فلما جاءت النوبة الى ــ وألقيت تلك الجمل دهش هو ومن كان معنا من الطلاب ورأوا شيئا ما كانوا يتوقعونه وشهدوا بأن هذا الشامى .. (ممثل جامد) أى ماهر ، ونعوذ بالله من الجمود ..

ما كانوا يتوقعونه منى ، أما أنا فكنت أتوقعه من نفسى ، لانى كنت قد ألفت من تلاميذى فى المدرسة الابتدائية التى كنت أعلم فيها فى دمشق فرقة للتمثيل ، وكنت اكتب لهم القصة ، وأعلمهم تمثيلها ، وكنت بارعا فى التمثيل .

وما أريد أن أفيض فى سرد القصة ، فلذلك كتاب عنوانه (ذكريات نصف قرن) كتبت منه كثيرا . وبقى على منه كثير .

ولكن اريد بيان العبرة من هذه القصة .

لقد اشتغلت بالتمثيل ، واحترفت الصحافة ، وغصت فى السياسة ، ولكن الله كان يوجه طريق سيرى ، فلم يختر لى من ذلك كله شيئا .

لا ، لا أقول (ان الانسان مسير) ، فانها أضل مقالة قالها الانسان والانسان مخير ، أعطاه الله اليدين ، فهو يستطيع أن يحركهما ليتصدق على السائل ، وأن يحركهما ليضرب البرىء ، ومنحه الرجلين فهو يقدر أن يمشى بهما الى المسجد ليصلى والى الماخور ليفسق .

(جول سيمون) يرد على من يدعى أنه مسير . فيقول له : سأرفع يدى بعد ثلاث دقائق . فهل تراهننى على أننى لا أستطيع أن أرفع يدى ؟ .

ولكن ليس معنى هذا أن الانسان يستطيع أن يتحكم فى الكون ، ولا أن يقرر لنفسه المصير .

الصخرة لا تتحرك ، والسيارة تتحرك ، فنحن لا ننكر حركة السيارة ، ولا (حرية) سائقها فى التوجه بها ، ولكن ليس معنى هذا أن يخترق بها الجبل ، ولا أن يمشى بها على وجه الماء ، ان السيارة تمشى (بحرية) سائقها واختياره ، ولكنها لا تمشى الا على الطريق .

وكذلك الانسان ، ان له حرية واختيارا ، ولكنه لا يستطيع أن يسلك الا الطريق التى تشقها له الاقدار .

انه كراكب الزورق فى البحر ، يوجهه حيث شاء ، ولكن قد تضربه موجة عاتية فتحول وجهته من اليمين الى الشمال ، وكذلك تصنع الايام ، بزوارق الاحلام .

كنت فى مصر ، وقد رسمت طريقى ، وحددت وجهتى : أن أكمل الدراسة

فى دار العلوم ، وأعمل فى الصحافة ، واذا بموجة تلطم صدر زورقى، فتعيدني الى دمشق ، فأدخل فيها كلية الحقوق وأغامر فى السياسة ، وأقود الطلاب جميعا فى ساح النضال ، وأحترف الصحافة ، فأكتب فى (فتى العرب) عند مؤلف (سيد قريش) وفى (ألف باء) عند باقعة الصحافة فى الشام . ثم أتولى التحرير الداخلى فى الجريدة الوطنية الكبرى ، التى أصدرتها الكتلة الوطنية رافعة لواء النضال للاستقلال .

وكان آخر ما أفكر أن أكون موظفا .

أنا أكون موظفا فى ظل الانتداب ؟ واذا فرض ما لا يكون وقبلت التوظيف (١) فلن أكون معلما ، أنا أصير معلم صبيان .

ولكن هذا الذى كان :

فقد كانت فى سنة ١٩٣١ نكسة وطنية ، بعد انتخابات (٢٠ كانون) أى ديسمبر ، التى قاطعناها ، وسيطر الفرنسيون . وعطلوا الجريدة التى كنت أعمل فيها . فقبلت أن أكون معلما ، لئلا أدع اخوتى بلا طعام .

وضربت موجة أخرى زورقى ، حين اذانى الحاكمون فنقلونى فى أقل من ثلاث سنوات ، بين خمس من القرى ، وآذيتهم بقلمى ولسانى ، فتركت الشام وسافرت الى العراق .

وكان لى فى العراق اخوان ، وكان لى تلاميذ ، منهم من صار رئيس جمهورية (رحمه الله وأبقى فى الرئاسة أخاه) ومنهم من لست أحصى ممن صاروا وزراء ، وصار منهم كبار القضاة ، والقادة والضباط ما كان أحلى أيامى فى العراق ، وسلام منى لا ينقضى على اخوانى وتلاميذى فى العراق .

وصرفتنى موجة الى لبنان ، فعملت فى بيروت سنة ١٩٣٧ وصار من تلاميذى فيها أساتذة فى الجامعة ، وناس من كبار الناشرين وأصحاب المجلات ، وصار منهم رئيس القضاء الشرعى ، ومنهم الشاب العالم الصالح الذى سرنى وفرح قلبى ، أن سمعت من أيام نبأ انتخابه بالاجماع مفتيا للبنان .

وموجة أخرى ، حولتنى الى القضاء ، وما كنت أظن يوما أن سألى القضاء ، ثم عدت بعد أكثر من ربع قرن فى القضاء ، أمضيت نصفها فى (محكمة النقض) ، عدت بعد التقاعد ، مدرسا فى مكة المكرمة بجوار حرم الله .

جرنى الى هذا الكلام كله ، موضوع الانشاء .

فليفكر اخواننا المعلمون ، حين يلقون هذا السؤال ، فيما كانوا يجيبون عليه وهم طلاب .

هل كانوا يريدون أن يكونوا معلمين ، أم كانت لهم غايات ، طالما تطلعوا اليها ، وحاولوا بلوغها ؟

وأحلام كبار طالما كانوا يناجونها فى خلواتهم ، ويسامرونها فى لياليهم ويحلمون بها فى يقظاتهم .

وجهوا اليها زوارق حياتهم ، وكل همهم أن يصلوا اليها ، فجاءت موجة فضربت الزورق فحولت طريقه ؟

أما أنا فقد رث زورقى وبلى من طول ما توجه يمينا وتوجه شمالا ، فمر بى على كل بلد فرأيته ، وأطال بى الرحلة فذقت الحلو والمر ، وعرفت المتع واللذاذات ، والمتاعب والالام ، عرفت لذة المال ، ومتعة الشهرة وحلاوة المنصب ، واعجاب الجماهير ، ولو عدت تلميذا الان وسئلت هذا السؤال ، لقلت انه لم يبق لى من الامال الا أمل واحد ، هو أن يرزقنى الله حسن الخاتمة . وان يخلفنى فى أهلى وبناتي ، وأن يرينى قبل موتى بياض النصر للاسلام وأهله ، بعد هذا الليل الذى امتد سواده وعم ، اللهم آمين .

---

(١) الوظيفة فى الاصل بمعنى الراتب .

فيقول الحجر أو الشجر يامسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعـال فاقتلـه الا الغرقد فانه شجـر اليهود » . ومن الاحاديث ما يدل على انتشار المخترعات التى تنطق بكل شيء حتى يخيل للانسان أن كل شيء يحيط به يتحدث اليه ،فقد روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده » ومن الاحاديث ما يشير الى أن الدنيـا تنتهى على شرار الناس بعد أن يقبض الله اليه خيارهم، فقد روى مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : « سيبعث الله ريحا من اليمن الين من الحرير فـلا تدع احدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته « وروى الشيخان البخارى ومسلم : « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » وروى مسلم والترمذى عـن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم السـاعة حتـى لا يقـال فى الارض : الله . اللـه » ويـدل بعض الاحـاديث على أن الدين سيتقلص من اطراف الارض ويستقر بالحجاز . روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحيـة الى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من الجبل . ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » ومن الاحاديث ما يدل على عظم أجر المتمسكين بدينهم فى هذه الأوقات التى أشير اليها آنفا ، هذا غيض مـن فيض وقليل من كثير مما ورد عن سيد الخلق فى أحوال آخر الزمان وقد أدركنا بعضه ونعوذ بالله أن ندرك ما بقى منه .

وأما العلامات المباشرة لقيام الساعة فنوردها فى ايجاز كما وردت عن المحققين من علماء الملة وهى على الترتيب :

١ ــ ظهور المسيح الدجال .

٢ ــ نزول سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقتلـه للدجال .

٣ ــ ظهور يأجوج ومأجوج وفى التنزيل الكريم من سورة الانبياء الآية (٩٦) « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » .

٤ ــ ظهور الدابة قال الله تعالى : « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهـم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (الآية ٨٢ من سورة النمل) أما أوصافها وتفاصيل الحديث عنها فعلم ذلك عند علام الغيوب .

٥ ــ خروج الشمس من مغربها ، وقال بعض العلماء انها المرادة بقول الله تعالى « ... يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » (الآية ١٥٨ من سورة الانعام) والله أعلـم بمراده .

وهذه الاشراط تكلم فيها طويلا ولكن نرى الوقوف عندها كما ورد ، فهى من الغيب الذى لا يعلمه الا اللـه تبـارك وتعالى ، نسأله سبحانه السلامة مـن شرور الدنيا وأن يهيىء للمسلمين من أمرهم رشدا .

هل لماضي المجد

دها فيلق الإسلام غُلْبَ الفَيَالـق ... ببدرٍ ، فعمَّ النورُ أُفْقَ المَشَارِق

وحطَّم صَرْح الكفرِ في عُنْفُوانِه ... وألقى به من حالقٍ بعد حَالـق

وكَرَّ عليهم كَرَةً لَم تَـدَعْ لَهُمْ ... سوى أروُس مطمورةٍ في الخنادق

وإلا أديماً خَضَّب الدمُ ساحَـهُ ... كأن روضة حُفَّت بأزهى الشقائق

تلاقي به دمعانِ : دمع مُسارِعٍ ... يفر ، ودمعٌ من طريح مُفَارق

والا طيورا قد أَدَبْـنَ موائـداً ... مطاعمهـا فيها لحومُ الخلائِق !

وأفْقـاً تسامَى النَّقْعُ فيه مَوَاكِباً ... حَدَاها أنينٌ من نفوسٍ زواهـق

* * *

وفَرَّتْ فلُول الكفر تَسْحَبُ رُعْبَها ... كما ارتعب العصفورُ خيفة بَاشِـق

وما حمل الأرماح إلا قلوبهم ... تجيش بإيمـانٍ على الهَوْلِ صـادق

وما هي حربٌ بل جدال يَشُبُّـه ... وقوفُ أباطيلٍ بوجهِ حقائـق

عَوْدٌ لأهله؟

للاستاذ
العوضى الوكيل

به انطلقت في الشرق أجنادُ خالـدٍ   وكَرَّتْ به في الغربِ أجنادُ طـارق

★★★

قِفَا نبكِ من ذكرى الليالى السـوابقِ   ونقرنُ ما أفنى الزمانُ بما بَقِـى
ليالىَ كان المسلمـونَ أعـزَّةً   عواتقهم بالمجد أعلى العواتـق
بأيديهم حكمُ الزمـانِ ، وإنّمـا   طرائقهم في الحكم أسْمى الطرائـق
ألا يارعاةَ الشاءِ في فَلَوَاتِهَـا   ومُنْتَجِعِى فَيْضَ الغيوث الغوادق
غَدَوْتُمْ بما آتاكمُ وحـىُ احمدٍ   ، من الدين والدنيا ، رُعاةَ خلائِق

★★★

ألا هل لماضى المجد عودٌ لأهلـه   ورُجْعَى إلى العزّ القديم المُفَـارق
وما المجدُ بالنائِى إذا صدقت لـه   عزيمـةُ دفَّاع إلى الهول صـادق
تيقظت الأحداث فاستَيْقِظُوا لهـا   بهمة ِصوَّالٍ ، وغضبـةِ حانِـق



ـ ١ ـ

مما يدعو للاعتزاز والفخر أن نـرى الاحكام والحقوق التى جاء بها الاسلام لتقرير مكان المرأة فى الحياة وانصـاف انسـانيتها وأهليتها تتأيـد على ضـوء ثقافة عصرنا وأوضاعه ، وما تسفر عنه ـ كل آن ـ تجاربه فى حلو الحياة ومرها، ورشدها وغيها ، حتى أنها لتقابل اليوم من المنصـفين ذوى التقديـر العميـق والثقافة العالية بأصدق التأييد والرضا .. ولكن مما يجلو فضل تلك الاحكام والحقوق ، ويضيف الى الاعتزاز والفخر بها وجدان العجب بتقدميتها وأصالتها أن ننظر اليها على ضوء الحقبة التي ظهرت فيها

بين يدى هذه السلسلة

كنا قد كتبنا للاستاذ الفاضل أن يوافينا ببعض بحوثه التى يمنع بها قراءة الكثيرين فأرسل الينا ـ مشكورا ـ بواكير هذا البحث الذى سنقدمه لك مسلسلا حتى تتم جوانبه وأرسل لى معه رسالة رأيت أن أشركك معى فى قراءتها لتعيش مع الكاتب وفى جوه الذى آثر من أجله أن يجعل هذه الناحية المهمة موضوعا لبحثه .

قال الأستاذ فى رسالته :

« جاء خطابك وأنا فى شغل بأزمة وجدانية أتألم فيها لحال الفتاة المسلمة فى كل مكان ، فان مصاريع التحول أو التطور تنفتح أمامها حيث كانت للانطلاق الى ما تشاء من الآفاق ، بلا قيد ولا شرط ، مع توتر يضيق أو يتطير بأقل معارضة ، ولا يرى فى أقوال الناصحين المشفقين الا الجمود والرجعية ، ومعارضة سنن التطور .. الخ .. وقد نظرت فيما درست أو تدرس من مناهج الدين فلم أجد الا أشياء سطحية ، لا تملأ فكرا ، ولا تستولى على عاطفة ، علاوة على بعدها كل البعد عن القضايا التى تتعلق بتطورها ، ووجدت أن مرجعها أو مصدرها الذى تتلقى منه التوجيه فى تلك القضايا هو المجلات الاسبوعية ، وملحقات الصحف اليومية التى تخصصها للمرأة ، والمعروف أن رائد محررى تلك الصحف هو تقليد المرأة الغربية ، اذ هى مثلهم الاعلى الذى يتلقون عنه مقتضيات التطور .. وأحسست أن محنة تلك الفتاة تقتضى تقديم لون من الادب النسوى ، لا هو بالفقه البحت الذى تتولاه الدراسة المنهجية ، ولا هو بالاجتماع المدنى الصرف الذى لا يتقيد فيه كاتبه بغير تقديره الشخصى .. والدين هو معيار العقل ، والحكم الصادق فى كل ما تعرض له .. وللفتاة عقلها وضميرها ، فلعلها أن تجد فى هذا اللون الذى يعالج قضاياها ما يرضى عقلها وضميرها ، ويصلها بدينها ويخفف من غلواء التطور المندفع .. ودعانى ذلك أن أقرأ .. وأن أبحث وأن أحضر مادة الموضوع ، وساعدنى القرآن الكريم كلام الله الثمين ، عباب المعارف ، وكنز دقائق المعانى ، وخفى الاشارات والسنن .. وفيما انا فى جهد التجميع وأسى الوجدان الملتهب جاء خطابك ، فلم تكن هناك فرجة لخيار أتردد فيه بين ما أكتب وما لا أكتب .. وقلت : انا ما زلنا فى مفتتح عام دراسى، فلعل أساتذة مدارس البنات فى الكويت وغير الكويت يجدون فى بعض ما نكتب شيئا يصلح تقديمه لفتياتهم على سبيل أن شيئا خير من لا شىء .

ورأيت أن أقسم قضايا المرأة الى قضايا تتعلق بوصفها العام الذى تشترك فيه مع الرجل ، وهو وصف الانسانية .. وقضايا تتعلق بوصفها الخاص الذى تنفرد به عن الرجل وهو وصف الأنوثة .. وقضايا لم يكن لها مجال الا أن رغبة المرأة الجامحة فى منازعة الرجل كل شاراته فرضتها على البحث ، كعمل التكسب فى الخارج بمختلف المهن ، والمؤسسات والدواوين ونحوها .. وهى قضايا يجب أن تقرر سنن الله فيها ، « معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون » .

منذ أربعة عشر قرنا ، اذ تفاجىء الناس حدثا عجيبا يهز تقاليدهم وأوضاعهم ، ويثير دهشتهم وحيرتهم لمخالفة ما ألفوا من وضع المرأة بينهم وتقديرهم لشأنها ، فانه اذا كان النظر لاحكام تلك القضية على ضوء ثقافة عصرنا وأوضاعه تؤكد صلاحيتها ، فان النظر الى ظهورها حدثا عجيبا فذا فى مخالفة مشاعر الناس

وتقاليدهم وطبيعة نظرتهم للحياة عامة فى العالم كله لا فى جزيرة العرب وحدها ، هو نظر يؤكد أصالة تلك الأحكام ، وأنها من حكيم حميد ، فان نظر المصلح من البشر ـ المحدود بأوضاع قومه ، ومن ورائها أوضاع عصره كافة ـ لا يبلغ فى حكم الطبيعة البشرية من عمق التغيير والرؤية حد المخالفة الكلية فضلا عن

اصابة الحقيقة الخالدة التى لا تتغير بتغير العصور والبيئات .. ولذا رأينا أن نبدأ تلك السلسلة عن قضايا المرأة بنظرة عاجلة الى الماضى . ترسم اطارا موجزا يجمع من الملامح ما يكفى للحكم على صورته .

— ٢ —

وحين نقرأ تاريخ الانسان أو قصة حضارته، نراها تجارب قاسية متواصلة، فيها عناصر من البداوة ، والجهل ، والقلق ، والخوف ، والأنانية ، والرغبة فى العدوان والعلو .. تجارب اذا انتهى فيها من مصارعة الوحوش ومنازلة السباع ، فرغ لمنازلة أخيه الانسان ، وفتح لذلك صفحة بل صفحات آسية دامية من الحروب والغارات للسلب والغصب والنهب ، واسترقاق الرقيق وسبى الذرارى ، ليكونوا فى خدمة الغالب. خدمة بيئته، وأرضه ،وسائمته، وسائر علمه .

ولسنا بصدد استيفاء ملامح هذه الأطوار البعيدة وما كان فيها من تجارب مرة قاسية ، ولكنا نسأل . أيلام الانسان اذا هو رتب حياته — يوم ذاك — وأقام أوضاعه الاجتماعية على ما يلائم تلك الظروف ، ويقتضيه ما هو مفروض من احتمالات الغزو ، أو مفاجأة غارات السلب والنهب والسبى والاسترقاق ؟

أيلام — مثلا — اذا خرج لغارة أو مدافعة عدو ، أن يعفى منها الحامل والمرضع ومن فى حكمهن من ضعيفات النساء ؟ .. أو يلام اذا اجتمع من شهد المعركة لتقسيم الاسلاب والغنائم دون استدعاء النساء ؟ وهل يلام اذا جمع المقاتلين من أبناء القبيلة ليتداولوا الرأى فى تدبير ما يريدون من غزو ، أو احباط ما يتوقعون من غارة دون أن يشرك المرأة فى هذا التدبير ؟ .. ولأى المولدين يفرح ذلك الانسان البعيد ، مولد الولد الذى يركب الفرس ، ويحمل السلاح ، وينازل العدو ، أو مولد الأنثى التى لا غناء لها فى شىء من ذلك ، فضلا عن أنها عبء فى المعركة وحرمة تستوجب الدفاع ؟

ان عاملين خطيرين حددا للمرأة مكانها فى العصور القديمة . أحدهما انها انثى أعدتها الطبيعة القاهرة لأداء مهمة معينة .. والآخر مقتضيات الحياة التى دعت اليها مواريث البداوة والتوحش التى كانت لا تفتأ تثير فى الرجل مختلف الأطماع ، وتحضه على دوام الغارة ، وفخر الغلبة ، ونشوة الظفر والاستعلاء.

لقد كان لهذين العاملين أثرهما الحاسم فى رسم الوضع الاجتماعى للمرأة ابان العصور الأولى لحضارة الانسان .. فلما قطع من مراحله الحضارية ما قطع ، وصار له فى كثير من الجهات دول ذات قوانين ونظم فى الحرب والسلم ، كانت مقتضيات الحياة القديمة — حياة الغزو والسلب والنهب — قد استحالت تقاليد راسخة ، ومواضعات تخطط آداب الشعوب والقبائل ، وتعين معاقد مجدها وفخرها ومنعتها .. أى صارت عنصرا أصيلا من العناصر التى تكون الاطار العام لحضارته .. وفى نطاق هذا الاطار عاشت المرأة واتخذت وضعها الاجتماعى الذى نعرض فيما يأتى بعض معالمه .

— ٣ —

أ — ففى الصين كانت المرأة تحتل فى المجتمع مكانة هينة ، ولقد كتبت احدى سيدات الطبقة العليا بالصين رسالة قديمة تصف فيها مركز المرأة ، فكان مما جاء فيها . « نشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الاعمال ، » .

ومن أغانيهم . « ألا ما أتعس حظ

المرأة . ليس فى العالم كله شيء أقل قيمة منها ، أن الاولاد يقصد الذكور ــ يقفون متكئين على الأبواب كأنهم آلهة سقطوا من السماء ، أما البنت فان أحدا لا يسر بمولدها ... واذا كبرت أختبأت فى حجرتها تخشى أن تنظر فى وجــه انسان ، ولا يبكيها أحد اذا اختفت من منزلها (١) .

ب ــ وفى الهند نجد فى أساطير مانو أن مانو « عندما خلق النســاء فرض عليهن حــب الفــراش ، والمقاعــد ، والزينة ، والشهوات الدنسة ،والغضب، والتجرد من الشرف ، وسوء السلوك .. فالنساء دنسات كالباطل نفسه وهــذه قاعدة ثابتة » (٢) ... وفى تشريع مانو . « أن الزوجة الوفية ينبغى أن تخــدم سيدها ــ زوجها ــ كما لو كان ألها ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه حتى ان خلا من الفضائل ... وكانت المــرأة بناء على ذلك كلــه تخاطب زوجــها فى خشوع قائلة . يا مولاى .. وأحيانا . يا الهى ... وتمشى خلفه بمسافة ، وقلما يوجه اليها هو كلمة واحدة .. وكانت لا تأكل معه بل تأكل مما يتبقى منه » (٣) .

جـ ــ أما فى اليونان القديمة ، فيكفى أن المرأة فى العصر الذهبى لم يكن لها أى دور فى حضارته ، اذ كانت معزولة عــن المجتمع ، تعيش فى أعماق البيوت عــلى أنها سقط المتاع ، حتى كان من مفكريهم ومؤرخيهم الكبار من ينادى . « يجب أن يحبس « اسم » المرأة فى البيت ، كما يحبس جسمها » (٤) ... وكان ينظر الى الزوجية عــلى أنــها « وظيفــة » لاستيلاد الأطفال ، لا تعلو كثــيرا عــن « وظيفة » الخدمة فى البيوت ... ولم يكن من الأوضاع المألوفة أن تكون الزوجة موضع حب أو معاطفة ، فــان لتلــك المشاعر مجالا آخر يصوره ديموســتين خطيبهم المشهور بقوله . « اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليوميــة ، ونتخــذ الزوجات ليلدن لنا الابناء الشرعيين » .. وعلى هذا كانت الزوجة تنتقل من بيت آهلها لا لتكون سيدة البيت فى بيــت زوجها ، بل لتؤدى فيه ــ الى جانــب الخدم ــ وظيفتها فى استيلاد الاطفال وحضانتهم ..

د ــ وفى الحضارة الرومانية ــ فى عهد الجمهورية الأول ــ كان رب الأسرة هو رئيسها الدينى ، وحاكمها السياسى ، ومديرها الاقتصادى ، فاليــه ترجــع الحقوق كلها ، فهو الذى يملك ، وهــو الذى يبيع ويشترى ، ويتعاقد ويتصرف فى كافة شئون أسرته .. أما المرأة فلم يكن لها الى جانبه شيء ، اذ لم يكن لها أهلية أو شخصية قانونية ، فقــد كان القانون يعتبر « الأنوثــة » ســببا أساسيا من أسباب انعدام الأهليــة ، كحداثة السن ، والجنون (٥) ... ولقد

---

(١) ٢٧٣/ حضارة الصين ــ ول ديو رانت ترجمة محمد بدران

(٢) ٣٩٤/ تاريخ العالم « ترجمة الادارة الثقافية بوزارة المعارف سابقا

(٣) ١٧٩ ؟ حضارة الهند ــ ول ديورانت/ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود

(٤) ١١٤ ، ١١٧ حياة اليونان ــ ول ديورانت ترجمة محمد بدران .

(٥) ١٩٧ ، ٢٤١/مبادىء القانون الرومانى للدكتور محمد عبد المنعم بدر ، والدكتور عبد المنعم البدراوى

بلغ من ذلك أن البائنة المالية « الدوطة » التى كانت تنتقل بها المرأة من بيت أهلها تصير ملكا خالصا لزوجها بمجرد تحولها اليه .. ولم يكن لها أن تظهر فى المحكمة ، ولو شاهدة ..

ولقد عرف الرومان نوعا من الزواج اسمه « الزواج مع السيادة ، وبه تدخل المرأة فى سيادة زوجها ، وتصير فى حكم ابنته ، وتنقطع صلتها بأسرتها الأولى ، ولقد بلغ من سيادة زوجها عليها أنها كانت تحال اليه اذا ما اتهمت بجريمة ليحاكمها ويعاقبها بنفسه ، وكان له أن يحكم عليها بالاعدام فى بعض التهم كالخيانة مثلا ... وكان اذا توفى عنها زوجها ، دخلت فى وصاية أبنائها الذكور ، أو اخوة زوجها ، أو اعمامه » .

هـ ــ والعرب كانوا لا يرحبون بميلاد الأنثى ، وذلك من الأمور الطبيعية فى مجتمع قبلى لا تهدأ فيه الغارات ، ولا تسكن خصومة الثأر ، وكان الرجل هو صاحب الغناء والبلاء فى تلك الحروب التى يعلو بها شأن القبيلة أو يخفت ، أما الأنثى فلا غناء لها فى هذا المجال ، علاوة على أنها فى نظر العدو غنيمة مطلوبة للخدمة أو للاستمتاع ، فيضاعف ذلك على رجال قبيلتها عبء الصيانة والمدافعة خوف ما يلحقهم من عار اذا وقعت سبيا ذليلا فى يد العدو .. وكان الرجل فى بعض القبائل اذا ولدت له الأنثى عراه الغم الشديد ، وأخذ يعالج الأمور فى نفسه . أيبقيها على مضض ومهانة أم يتخلص من عبئها وعارها فيقتلها أو يدفنها حية فى التراب ؟ . ، وكثيرا ما كان يلجأ الى التصرف الأخير ، وهو ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله . « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون » (١) .. وكان الرجل من العرب اذا مات عن زوجته ، قام أكبر أبنائه ، فاذا كانت له بها حاجة طرح عليها ثوبه فصارت حقا له بدون اذنها (٢) .

و ــ ومع أن اليهودية دين سماوى فان مواريث البداءة دعت بعض طوائفهم الى أن يعتبروا البنت دون مرتبة أخيها ، وهبطوا بها حتى سووها بالخدم ، وكانت لا ترث مع أخوتها الذكور .. وكان لابيها أن يبيعها وهى طفلة أو دون البلوغ ..

ز ــ أما المسيحية فقد غلا رجال الكنيسة فى اهدار شأن المرأة ، وهم دعاة شريعة الحب والرحمة ، فكانوا يقولون للنساء قولا له وزن الشرع المقدس . « انه أولى لهن أن يخجلن من أنهن نساء ، وأن يعشن فى ندم متصل جزاء ما جلبن على الارض من لعنات ، فكانت تعاد بهذا نفس العبارات التى قالها « مانو » فيهن ، وهى أن النساء

(١) الايتان/٥٨ ، ٥٩ من سورة النحل .
(٢) جـ٢ ص٥٢ من بلوغ الارب للألوسى ، جـ٣ ص٤٢وما بعدها من المرجع نفسه ، ويراجع أيضا تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشرى فى الآيتين السابقتين من سورة النحل .

باب للجحيم ، وأنهن الخطيئة مجسمة ، وقد ذهب البعض الى أبعد من هذا ، فزعموا أن أجسامهن من عمل الشيطان .. وأنه يجب أن يلعن النساء لأنهن سبب الغواية ، وكان يقال . ان الشيطان مولع بالظهور فى شكل انثى «(١)» ... غلا رجال الكنيسة الى هذا الحد حتى كان من موضوعاتهم التي يتدارسونها :

هل للمرأة أن تعبد الله كما يعبده الرجل ؟

هل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟ .

هل هى انسان له روح يسرى عليه الخلود ؟ أو هى نسمة فانية لا خلود لها ؟

— ٤ —

تلك ملامح أو معالم موجزة تعطينا حكما صادقا عن الوضع الاجتماعى للمرأة فى البيئات القديمة المتحضرة متدينة وغير متدينة .. ويمكن مما تقدم أن نلخص الأخطاء القديمة فيما يأتى .

١ — أن انسانيتها لم تكن موضع اعتبار لدى الرجل ، فلم يكن لها جهد معلوم أو دور مقرر تسهم به فى تنظيم المجتمع .. وما كان يجوز أن يستصحب الانسان تقاليد بداءته ، ويدع لها أن تسهم فى تخطيط حضارته حتى يكون من تأثيرها أن تفرض للمرأة الوضع الذى قدمنا ، وقد رأينا كيف هبط بها بعضهم حتى كانوا يتدارسون فيما بينهم . هل المرأة انسان له روح ، أو هى حيوان نجس لا روح له .

٢ — انها لم تكن لدى كثيرين أهلا للتدين والتخلق بالفضيلة ، وقد رأينا « مانو » يجردها من شرف السلوك ، ورأينا غيره يتابعه على ذلك ، ويتشكك فى أهليتها لعبادة الله ...

٣ — انعدام المساواة بين الابن والبنت فى نطاق الأسرة ، كما رأينا لدى العرب وقدامى الصين .. وانعدامها بين الزوج والزوجة كما رأينا لدى الهنود .

٤ — اهدار شخصيتها القانونية ، أو أهليتها للتصرف الاقتصادى ، اذ كانت غالبا لا تملك ، ولا ترث ، ولم يكن لها دور فى بيع أو شراء أو شركة أو نحوها من الشئون الاقتصادية والاجتماعية ، وقد رأينا كيف كان القانون الرومانى يعتبر « الأنوثة » سببا أساسيا من أسباب انعدام الأهلية ..

وقد نستطيع أن نجمل تلك الأخطاء فى خطأ واحد ، هو أن « انسانيتها » لم تكن محل اعتبار لدى الرجل ، اما لجحود تلك الانسانية وتجريدها منها بتة ، واما لأحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضيها دورا أساسيا تسهم به فى المحيط العام . والمقرر أن أنوثة المرأة — مع مقتضيات الحياة البدائية التى أشرنا اليها — كانت السبب المباشر فى تسلسل تلك الأخطاء وتطورها الى الوضع الذى عرضنا بعض ملامحه .. ولهذا كان من حكمة الاسلام وأصالته أنه حين عرض لتقرير مكان المرأة فى الحياة عرض له على أساس الواقع من تقويمها ، أو تكوينها الفطرى الجامع لخصائصها الروحية والحسية ... فأعلن انسانيتها التى تستوى فيها مع الرجل ، وأعلن وصفها الخاص الذى تنفرد به عنه باعتبارها انثى .. وفى تشريعه لكل من هذين الوصفين لم يقصر بها عن الوضع الذى قررته الفطرة لانسان ، ولم يجاوز بها المدى الذى رسمته الطبيعة لانثى .. على النحو الذى سنوجزه فيما يأتى ان شاء الله .

---

(١) تاريخ العالم ترجمة وزارة المعارف المصرية .

مشكلة القضاء والقدر

أو مسألة الجبر

تتضمن المشكلة دراسة وتحديد :

أ ــ الصلة بين ارادة الله العامة الشـاملة ، والارادة الانسانية .

ب ــ الصلة بين القدرة الالهية العامة الشاملة والقدرة الانسانية ، أو بعبارة أخرى بين قدرة الله وأفعال العباد ، فهل أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو هى من خلقهم واختراعهم .

ان التفكير فى مشكلة الجبر والاختيار ظاهـرة نفسية عامة ، تميز حياة الجماعات المتدينة فهما ظاهرتان متلازمتان لكل جماعة ذات عقيدة دينية ، فاذا عثر المؤرخ الدينى على احداها فى جماعة متدينة فلا بد أن يعثر عند التفتيش فى اعتقاداتها على الظاهرة الاخـرى .

والواقع أن هذه المشكلة من أعقد المشاكل التى عرضت للعقل الانسانى ، وحار فيها الفلاسـفة وعلماء الكلام قديما وحديثا ، فقد أثارها الفلاسفة اليونان فكان بعضهم (كالأبيقوريين) يرى أنـه ((لا يوجد هناك قدر ولا قدرة تضمر للانسان شرا ولا خيرا ، وارادة الانسان لا ترتبط بقدر يسيرها فى جبرية لا تقبل تغييرا)) وبعضهم (كالرواقيين) كان يرى ((أن الاحداث تجرى على أساس خطة لا يمكن للانسان أن يغيرها ، وانما عليه أن يتبـع ارادة القدر)) ، وكذلك كان الامر فى اليهودية ، فقد دار النقاش العقلى فيها حول القدر والجبر والاختيار ، فمال (القرائيون) منهم الى القـول بالجبر أو القدر ، وصار (الربانيون) الى القول بالاختيار . أما فى المسيحية الشرقية فكانت النزعة الغالبة على أهلها القول بحرية الارادة الانسانية ، فكان يوحنا الدمشقى من أوائل الفلاسفة الدينيين الذين ميزوا بين الافعال الاختيارية التى يأتيها الانسان بمحض ارادته واختيـاره وبعد التفكير والتروى ، وبين الأفعال الاضطرارية الجبرية التى يأتيها الانسان مكرها وبتأثير قوة خارجية ، ومع ذلك فان (اليعاقبة) من المسيحيين الشرقيـين مالوا الى الجبر ونفى الارادة الانسانية والحرية .

أما فى الاسلام ، فقد أثيرت المشـكلة أيضـا واختلف الناس حولها ، والـذى دعاهـم الـى الاختلاف ــ كما يقول ابن رشـد ــ أن الأدلـة العقلية متباينة ، وظواهر نصوص القرآن تبـدو وكأنها متعارضـة .

فاذا قلنا ان ارادة الله ومشيئته شاملة لكل ما يحدث فكيف يشاء الشر ، واذا قلنا ان ارادته لا تتوجه الا الى الخير ، وجب القول بأن هناك أفعالا تجرى على غير مشيئته ولا اختياره ، فكيف يكون الها .

ومثل هذا الخلاف فى ارادة الله ، الخـلاف فى قدرته .

فمن ناحية نرى أن الله تعالى يطالب الناس بالعمل ويدعوهم اليه ويأمر وينهى ويثيب على

الدكتور / عرفان عبد الحميد
كلية الشريعة / بغداد

١ والاختيار في الإسلام

فعل ما أمر ويعاقب على الاتيان عما نهى ، فكيف يعقل بعد ذلك أن نقول ان الانسان مجبور مسير لا أثر لقدرته أصلا ، اذ لو لم تكن له قدرة لما كان معنى للطلب ولما كان معنى للثواب والعقاب ، ولكان التكليف تكليفا بالمحال ، ولحق اعتراض المعترض بأنه لم يفعل ما فعل من شر حتى يستحق اللوم والعقاب .

ومن ناحية أخرى ، اذا قلنا ان العبد خالق أعماله ترتب عليه ونتج عنه تحديد قدرة الله وأنها غير شاملة ، وأن العبد شريك لله تعالى في ايجاد هذا العالم ، في حين أن العقل يقضي أن الشيء الواحد لا تتعاون عليه قدرتان ، فاذا كانت قدرة الله هي التي خلقت الفعل ، فلا شأن للانسان فيه ، وان كانت قدرة الانسان هي التي خلقت فلا شأن فيه لقدرة الله تعالى ، ولا يمكن أن يكون بعض الفعل بقدرة الله وبعضه بقدرة العبد ، لأن الشيء الواحد لا يتبعض .

أما ظواهر نصوص الكتاب والسنة ، فمنها ما يستخلص منها أن الانسان حر في اختيار أفعاله مسئول عنها ، من ذلك قوله تعالى .

١ ـ ((كل نفس بما كسبت رهينة)) وقوله تعالى ((لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))

٢ ـ ((من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها))

٣ ـ ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)) .

٤ ـ ((انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)) .

٥ ـ ((قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها)) .

أما الآيات التي يفهم من ظاهرها الجبر ، ومن أن الأمور تجري بقدر من الله تعالى فمنها .

١ ـ ((انا كل شيء خلقناه بقدر)) وقوله تعالى ((وكل شيء عنده بمقدار)) .

٢ ـ ((ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير)) .

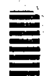
٣ ـ ((قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا)) .

٤ ـ ((كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)) .

٥ ـ ((ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)) .

٦ ـ ((قل فلله الحجة البالغة ، فلو شاء لهداكم أجمعين)) .

٧ ـ ((قال صلى الله عليه وسلم . لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره)) .



٨ ـ وقال أيضا « الشقى من كان شقيا فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره » .

٩ ـ « ان الله خلق للجنة أهلا ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا خلقهم وهم فى أصلاب آبائهم » .

تاريخ تطور المشكلة فى الاسلام

مر النقاش العقلى لمشكلة الجبر والاختيار بمرحلتين .

المرحلة الاولى

وهى الفترة التى اتخذ التفكير فيها صورة شبه عارضة ، كانت تساور نفوس البعض من الصحابة ولدتها ظواهر النصوص المتعارضة ، وما يلاحظ من تناقض بين قدرة الله المطلقة وبين حرية الانسان فى أعماله ومسؤوليته عنها . فقد أورد البخارى فى صحيحه « كتاب التفسير » ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع جمعا من الصحابة يتباحثون فى القدر فخرج مغضبا يعرف الغضب فى وجهه ، حتى وقف عليهم فقال . « أى قوم . بهذا ضلت الامم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، ان القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكن يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعلموا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » . ويروى أيضا أن شيخا من أتباع على رضى الله عنه سأله عند انصرافه عن وقعة « صفين » أكان المسير بقضاء الله وقدره . فقال عليه الصلاة والسلام « والذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة الا بقضاء وقدر . فقال الشيخ ، عند الله أحتسب عنائي ، مالى من الاجر من شيء . فقال على . بل عظم الله لكم الأجر فى مسيرتكم وأنتم سائرون ، وفى منقلبكم وأنتم منقلبون ، ولم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطربين . فقال الشيخ . فكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا ؟ فقال على . لعلك تظن قضاء واجبا وقدرا حتما ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تاتى من الله لائمة لمذنب ، ولا محمدة لمحسن ، ولما كان المحسن بثواب الاحسان أولى من المسيء ، ولا المسيء بعقوبة المذنب أولى من المحسن ، تلك مقالة اخوان الشياطين ، وعبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور ، وأهل العماء عن الصواب فى الأمور ، هم قدرية هذه الامة ومجوسها . ان الله أمر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، ولم يكلف جبرا ، ولا بعث الأنبياء عبثا « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » . فقال الشيخ . وما ذلك القضاء والقدر اللذان ساقانا فقال . امر الله بذلك وارادته .

ويروى أن رجلا قال لابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ « ظهر فى زماننا رجال يزنون ويسرقون ويشربون الخمر ويقتلون النفس التى حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون كان ذلك فى علم الله ، فغضب ابن عمر وقال . سبحان الله ، كان ذلك فى علم الله ، ولم يكن علمه ليحملهم على المعاصى .

من هذا يظهر أن النقاش فى مرحلته الاولى ، كان يتميز مظاهر منها .

أ ـ اثبات قدر الله ، بمعنى علمه الأزلى بما سيكون من شؤون خلقه .

ب ـ ان علمه الأزلى لا يتضمن الاجبار ولا يعنى الاكراه والاضطرار ، فلا يصح أن يكون تبريرا للشر والقائه على الله سبحانه وتعالى .

جـ ـ ان التفكير فى الجبر والاختيار ـ بهذا الاعتبار ـ تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام ، ونشأ من جراء التعمق فى التصور الدينى ، أى نشأ ـ كما يقول كولدزيهر ـ عن التقوى لا عن حرية التفكير .

د ـ ان التفكير فى المشكلة بهذا الاعتبار ليس وقفا على بيئة دينية معينة ولا جماعة انسانية خاصة ، بل ذلك من القدر الانسانى العام ، الذى يوجد فى كل جماعة متدينة .

المرحلة الثانية

وفيها اتخذ النقاش العقلى فى الموضوع صورة مذاهب ، له ناس يعتنقونه ويدعون اليه ويوضحونه للناس . والمشكلة بهذا الاعتبار قد اختلف الباحثون فى سبب ظهورها الى فئتين

١ ـ فئة ترى أن النقاش الفكرى حول القضاء والاختيار تولد عن سبب خارجي ، وتربط ذلك السبب بالمسيحية الشرقية . ومن أوائل من قال بهذا الرأى المستشرق الالمانى فون كريمر الذى يقول ((ان حركة القول بالقدرة الانسانية فى خلق الافعال نشأت بتأثير من تعاليم الكنيسة الاغريقيه وآراء أساتذتها وخاصة يوحنا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره)) . ويقول ماكس هورتن ((كانت العقيدة المسيحية فى الشرق تؤكد قبل كل شىء الاختيار الانسانى ومسئولية الانسان الكاملة فى تصرفاته .. ولما كانت أدلة هذا الرأى مقنعة للمسلمين الأحرار ((رجال المعتزلة)) رأوا من أنفسهم لا محالة اتباعه ووجوب الاخذ به ، لأجل هذا نشأت فكرة الاختيار فى المدرسة العقلية من مدارس علم العقيدة الاسلامية)) ويؤيدهم فى هذا جمع كبير من المستشرقين أمثال . نللينو الايطالى ، دى بوير الهولندى ، بيكر الالمانى ، ونيكلسون الانجليزى .

ويؤيد هذا الرأى بعض كتاب الفرق الاسلاميين. فيذكر المقريزى فى كتابه ((الخطط)) أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام هو معبد الجهنى الذى أخذه عن نصرانى يقال له أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسوارى)) . ويروى ابن نباتة فى كتابه ((سرح العيون)) ((أن أول من تكلم بالقدر فى الاسلام رجل من أهل العراق كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر وعنه أخذ معبد الجهنى ((ويقول ابن قتيبة)) غيلان الدمشقى كان نبطيا قدريا لم يتكلم أحد قبله فى القدر ودعا اليه الا معبد الجهنى)) .

٢ ـ فئة ثانية ترى أن النقاش فى القضاء والقدر تولد عن أسباب داخلية من ذات الاسلام نفسه وكنتيجة للتطور الديني والسياسي فى الاسلام ، وان كان ثمة تأثير أجنبى فانه كان تاليا لظهور المشكلة وأعان على تطويرها وتعميقها أكثر من خلقها وأيجادها ، وممن ذهب الى هذا الرأى فنسك ،ترتون ، واط ، اوبرمان . ويعتبر الاستاذ واط من أشد المؤمنين بهذا الرأى ، فهو يرى أن المشكلة نتجت عن بحث الخوارج فى مشكلة مرتكب الكبيرة التى دفعتهم الى البحث فى مسألة القدرة الانسانية ، وهل هى نفس الانسان ، أم أن القدرة عرض تحل فيه ، وهل القدرة تسبق الفعل أم هى مع الفعل وتنتهى بانتهائه ، وهل هى صالحة لفعل واحد أم للفعل وضده .

ان النقاش فى الموضوع فى مرحلته الثانية يرتبط بفرقتين ، هما فرقة القدرية وفرقة الجبرية .

١ ـ فريق الجبرية الخالصة

اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبى الذى ثار على الدولة الاموية فقتله((سلم بن أحوز)) والى الأمويين بخراسان .

نفى الجهم القدرة الانسانية والاستطاعة ، فليس للانسان فى نظره قدرة ولا ارادة ولا اختيار بل هو مجبر فى أفعاله ، والله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها فى الحيوان والجمادات ونسبتها الى الانسان على سبيل المجاز ، كما تنسب الى الجمادات والنبات ، فنقول تغذى النبات وتحرك الحجر ، والثواب والعقاب جبر والتكاليف الشرعية أيضا جبر .

يذهب بعض الباحثين (كولد زيهر ـ العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ص ٩٧ الدكتور عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٢٠١ وما بعدها) الى أن معاوية رضى الله عنه حين استقر له الامر ((أراد أن يثبت فى أذهان الناس أن امرته على المسلمين انما كانت بقضاء الله وقدره فأشاع الفكرة وشجع مذهب الجبر ، وأخذ هو وخلفاء بنى أمية من بعده يبثون الفكرة بمختلف الوسائل ، اذ رأوا أن القول بالجبر يبرر كل ما يأتون به من مظالم ، فعملوا على أن يفسر الناس كل ظلم بقضاء الله وقدره . فيروى أن عبد الملك بن مروان لما قتل عمرو بن سعيد أمر أن ينادى فى الناس ((بأن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ)) .

وفى الوقت الذى يمكن القول فيه بأن الأمويين استغلوا فكرة الجبر وكان من صالحهم سريانها وانتشارها ، فانه من المؤكد أن القول بالجبر لم يكن دافعه الاصيل سياسيا ، بل نتج عن التصور الدينى والورع الزائد والشعور الطاغى بعظمة الله وقدرته لدرجة تتضاءل بجانبها قدرة الانسان المخلوق وتنتفى ، ولو كان الجبر من متولدات السياسة الاموية ، لما أقدم الجهم بن صفوان على الثورة ضد السلطات الاموية ، الأمر الذى انتهى بقتله .

للحديث بقية



بقلم : عبد المنعم النمر

الدراسات الاسلامية

العناية التي تاخذها الدراسات الاسلامية الآن من المسئولين وغير المسئولين فى الدول الاسلامية أمر يبعث على الارتياح ، والثقة فى مستقبل أحسن لهذه الدراسات ، وما يتبعها من لفت الأنظار للاسلام وقيمه ومبادئه ، بعد أن طغت علينا التيارات الخارجية ، وطال اهمالنا لتراثنا ومبادئنا .

والذى يدعونى لأن أحدثك هذا الحديث الآن هو ما سمعته من الدكتورين محمد عبد الله العربى وكمال الباقر عن هذه الدراسات حين قاما بزيارة المسئولين فى وزارة الأوقاف وزيارة المجلة بعد أن اشتركا فى الاحتفال بافتتاح جامعة الكويت فى أواخر نوفمبر الماضى .

والدكتور العربى الذى يعرفه قراء المجلة هو الآن عميد لمعهد الدراسات الاسلامية فى القاهرة ، الذى قام من عدة سنين حين أحس الغيورون على هذه الدراسات الحاجة الى قيامه بجانب الأزهر الجامعة الاسلامية العتيدة ، واختطوا له منهجا حافلا جذب اليه حاملى الشهادات العليا من الأزهر والجامعات الأخرى ، حتى بلغ المنتسبون اليه الآن قرابة الألف ، مع أنه بدأ بعدد لم يبلغ المائة . والذى يبعث على الغبطه هو ان هذا العدد الضخم المنتسب اليه قد أقبل على هذه الدراسات العليا دون أن يدفعه اليها مادة يحصلها أو ترقية يرقبها .. بل كانت الرغبة المخلصة فى التزود من هذه الدراسات التي يقدمها صفوة مختارة من العلماء هي التي جعلته يعود طالبا من جديد .

أما الدكتور الباقر فهو عميد جامعة أم درمان الاسلامية .. وهي جامعة وليدة انشأتها حكومة السودان هذا العام ـ كما يقول السيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة فى السودان فى كلمته التي قدم بها دليل الجامعة : .. « لتلعب دورها فى نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وبعث التراث العربى الاسلامي فى بلد يقع فى قلب القارة الافريقية ، وعلى ملتقى الحضارتين العربية والافريقية ، وعليه بهذه الصفة أن يقوم بواجبه كاملا فى رفع راية الاسلام ، وبعث الثقافة العربية والفكر الاسلامي ، لا فى داخل القطر فحسب ، بل على مستوى القارة ، وفى ربوع العالم الاسلامي بأسره » .

ولقد سرنى وأنا أتصفح هذا الدليل أن أرى الذين خططوا لهذه الجامعة قد استفادوا من تجارب الذين سبقوهم ، فأقاموا جامعتهم على أساس أن تعد لمعترك الحياة شبانا يؤمنون بدينهم ووطنهم الصغير والكبير ، ويعملون فى مختلف الميادين لا فى المجال الديني فحسب .. وذلك حسب الدراسات المتنوعة التي تقدمها لهم كليات هذه الجامعة ..

وقدبدأت هذه الجامعة فى أول عام لها بانشاء كليات : الشريعة والقانون ، والآداب ، والبنات ، وبجوار هذه الكليات الثلاث دراسات عليا فى معهدى الدعوة الاسلامية ، والدراسات الافريقية .. وندبت للتدريس فيها صفوة من الأساتذة المتخصصين من السودان والأقطار الاسلامية . وهذه بداية قوية نرجو أن تزيدها الايام قوة ونموا ..

ان شعورى بالغبطة لم يكن مصدره فقط قيام جامعة اسلامية تنضم الى زميلاتها فى البلاد الاسلامية ، بل لأن للسودان وضعا خاصا أو ((استراتيجية)) هامة للدعوة الاسلامية وسط القارة الافريقية حيث يمكن للراغبين فى الدراسات الاسلامية من البلاد المجاورة للسودان تحقيق رغباتهم دون مشقة كبيرة ، وحيث يسهل للدعاة من هناك الانطلاق للقيام بواجبهم فى السودان وفيما حوله من بلاد تعتبر من أخصب الحقول التي تثمر فيها الدعوة الاسلامية ..

ومن هنا آمل أن تتآزر الدول الاسلامية كلها مع السودان لشد أزر هذه الجامعة وتدعيمها بما تستطيع دعمها به من مال وأساتذة لتنهض سريعا وتؤدى دورها المرجو منها ..

فلنقل رأينا اذن

كنا نود أن تستمر المناقشة العلمية حول موضوع الرسم العثمانى للمصحف ، ولكن الرسائل الكثيرة التي وردت الينا ، وبعض ما وصل الى سمعنا من تعليقات خرجت بالموضوع عن ميدان المناقشة العلمية البريئة الى ميدان لا نحبه ، ولهذا آثرنا أن يغلق الباب ، ونقول كلمتنا التي كنا ننتظر بها الى أن تتم هذه المناقشة ..

لقد تعجبت كثيرا من الذين انزعجوا من الكتابة حول هذا الموضوع ، واتخذوا منه مادة للتعليق عليه بما يشتهون ، وما دروا أنه موضوع أثير من زمن قديم حتى سئل فى شأنه الامام مالك .. واختلفت آراء العلماء الأعلام فيه منذ ذلك الوقت . جماعة يمنعون كتابته بغير الرسم العثمانى ، وجماعة يجوزون ، ولكل من الجماعتين حججهما وأدلتهما التي يمكن الرجوع اليها فى الكتب المطولة التى تعنى بالقرآن وعلومه .. فالخلاف اذن فى هذا الأمر قديم ، ويثار بين حين وآخر لما يحسه بعض العلماء من حاجة لتيسير قراءة القرآن على من لم يتلقوه عن القراء ، ((ولئلا يوقع فى تغيير من الجهال)) كما يقول الامام الشيخ العز بن عبدالسلام اذا قراوه بالرسم العثماني ..

ونحن نرى — تقديرا منا لوجهة نظر الفريقين ، وتحقيقا لما يهدفان اليه من خير — أن تظل كتابة المصحف كما هى بالرسم العثمانى ، على أن تكتب الكلمات التي تكون موضع اشتباه لدى القراء على هامش كل صفحة بالرسم الاملائي الحديث الذى ألفه القراء فكلمة ((يصلح)) التى كتبت هكذا فى الرسم العثمانى نضع عليها رقما ثم نكتبها فى الهامش هكذا ((يا صالح)) وبهذا نحافظ على الرسم العثماني ، وفى الوقت نفسه نكون قد أرشدنا القارىء العادى الى كيفية القراءة الصحيحة .

ولعل أول من اتبع هذه الطريقة — كما نعلم — هو فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسيره القيم المبسط الذى أخرجه منذ نحو ست سنوات وسماه ((تيسير التفسير)) فحازت هذه التجربة اعجاب كل من اطلع عليها ، وكانت موضع الرضا من الجميع ..

وأننى اعتقد أن هذه الطريقة أكثر احتياطا مما ذهب اليه الشيخ العز بن عبد السلام حين قال : ((لا تجوز كتابة المصحف على الرسم الأول باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع فى تغيير من الجهال ، ولكن لا ينبغى اجراء هذا على اطلاقه ، لئلا يؤدى الى دروس العلم ، وشيء قد أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين)) ا هـ. يراجع كتاب البرهان للزركشى وكتاب ((مناهل العرفان فى علوم القرآن)) للزرقانى .

فما رأى السادة الذين اختلفت وجهات نظرهم فى الطريقة التي نستحسنها ، والتي سبقنا الى تنفيذها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ؟ .

لا أظن أنها تكون موضع خلاف ، ولهذا أستحث كل معنى بهذا الموضوع أن يعمل على تنفيذها وأتنبأمن الآن برواج كل مصحف يطبع على هذه الطريقة رواجا لم يسبق له نظير .

فكرة أقدمها للذين يعنون بطبع القرآن الكريم ، ولا أطالبهم بشيء من أرباحها ..

((ان أجرى الا على الله)) ..



للشيخ سيد سابق

اختلاف مفهوم الكمال والسعادة

كل فرد من افراد النوع الانسانى ينشد الكمال ويحرص على السعادة ، ويحاول الوصول اليهما بكل سبيل ، ولكن فهمهم لهما يختلف اختلافا بينا .

فمنهم من يرى ان السعادة المنشودة محصورة فى التمتع باللذائذالمادية والنعم الظاهرة .

ومنهم من يرى حقارة هذه اللذائذ ، وان السعادة هى الخروج عن دائرة الفطرة البشرية بتحريم الطيبات والانقطاع عن الدنيا .

وكل فريق من الفريقين مخطىء فى فهمه ، ومجانب للحق والصواب . اذ انه فهم لا ينسجم مع الحياة ، ولا يتسق مع ما خلق له الانسان من تحقيق الخلافة فى الارض . فالفريق الاول الذى يؤثر الدنيا ، ويحرص على لذائذها يفسد خلقه ، وتضعف ارادته ، ويضطرب امره ولهذا مقت الله هذا السلوك ، ووصفه بالكفر والضلال ، وشبهه بسلوك الانعام التى لا تعقل معنى الوجود ، ولا تفهم قيمة الحياة .

(والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم (١))

واما الفريق الاخر فانه فريق انعزالى يقف من الحياة والوجود موقفا سلبيا .

وسلوك هذا الفريق من شأنه ان ينقل قياد الحياة الى الاشرار،فيوجهوها حسب أهوائهم وتبع رغباتهم ، وفى ذلك فساد الدين ، وضياع الدنيا ، والله يوجه الخطاب لهذا الصنف من الناس فيقول « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢)

---

(١) سورة القتال آية (١٢) . (٢) سورة المائدة (٨٧) .

فكرة الاسلام عن مفهوم السعادة والكمال

واذا كان كل من الفريقين مخطئا فى فهمه للسعادة ، وفى نظرته الى الكمال فى نظر الاسلام فما رأيه اذن ؟ هل وضح لنا صورتهما ، ورسم معالمهما ؟

نعم ، فهو يرى أن الانسان خليفة عن الله فى الارض ، وان عليه القيام بواجبات هذه الخلافة . وانه جسد وروح ، وان الجسد ليس عدوا للروح ولا سجنا لها . وانما هو أداة لها من أجل القيام بهذه الواجبات والتبعات . وأن الدنيا دار عمل ، وميدان كفاح ، وليست دار تعذيب أو شقاء ، وان على الانسان ان يظهر مواهبه بالجد والسعى ، والكدح والكفاح فى كل ميدان من ميادين النشاط الانسانى .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » (١) .

واحسان العمل يتلخص فى أن يحسن الانسان صلته بالله عن طريق العقيدة والعبادة ، ويحسن صلته بالناس عن طريق الخلق والبر ، ليحقق بذلك كماله الروحى والانسانى .

يضاف الى ذلك استخراج كنوز الارض ، والانتفاع بقوى الكون، واصلاح النظام المعيشى لتحقيق الكمال المادى .

اهتمام الاسلام بضرورات الانسان وحاجاته المادية

لهذا نجد الاسلام عنى بكسب المال وتحصيله باعتباره عصب الحياة وقوامها، وجعل ذلك فريضة من فرائضه :

(طلب الحلال فريضة على كل مسلم) واوجب المحافظة عليه سواء كان عقارا أم ذهبا أم فضة « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما (٢) واهتم بتوفير الحاجات الاستهلاكية من الغذاء والكساء والمسكن وما لا غنى للانسان عنه ليكون على مستوى كريم من الحياة :

« من ولى لنا عملا وليس له منزلا فليتخذ منزلا ، أو ليست له زوجة فليتزوج ، أو ليس له خادم فليتخذ خادما ، أو ليس له دابة فليتخذ له دابة » رواه احمد .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حد الكفاية للفرد فقال . « ما سد جوعتك . وداري عورتك . وان كان لك بيت يظلك فذاك . وان كان لك دابة فبخ بخ » رواه الطبرانى

وأمر بالاكل من الطيبات ونهى عن تحريمها واعتبر ذلك اعتداء « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون» (٣)

وامتن على الناس بالملابس (يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون (٤) والمراد أنه خلق لنا الملابس نداري بها عوراتنا ونتزين بها كما امتن عليهم بالسكن فقال . « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها واوبارها واشعارها أثاثا ومتاعا الى حين (٥) .

وأمر بالزواج واعتبره آية من آياته .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٦) .

وفى الحديث « تزوجوا الودود الولود » .

والمرأة الحسناء لا يزهد فيها مهما غلا مهرها ، لما فى الزواج بها من تكميل للدين على أن تكون صالحة كى تسر العين بجمالها والقلب بكمالها . ويرغب

(١) سورة الملك آية (٢) . (٢) النساء (٥) (٣) المائدة ٨٧ ، ٨٨
(٤) الاعراف آية (٢٦) . (٥) سورة النحل آية (٨٠) . (٦) الروم آية (٢١) .

فى اقامة الدور والمساكن التى تحوى جميع المرافق والاثاث ما دام لم يقصد المباهاة والمفاخرة ، وبذلك تتسع دائرة العمران . وقد فعل ذلك الزبير بن العوام وابن المبارك ومحمد بن الحسن وكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين .

الجمال والزينة

ولا بأس بتزيينها وتجميلها فان طلب الزينة والجمال مقصود حسن فى ذاته ، والنفس التي لم تفسد فطرتها تعشق الجمال وتتلذذ بـه .

والله سبحانه يقول « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » (١) . وأى فرق بين التلذذ بالجمال فى الانعام والجمال فى الدور ويقول « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون »(٢) .

أى أن الله خلق هذه الدواب للركوب وللزينة ، وان لم يحتج الى ركوبها

واما الآثار التى وردت فى كراهية رفع البنيان وزخرفته فليست على اطلاقها، وانما المقصود بها كراهية ذلك اذا قصد بها المفاخرة والمباهاة ، والتطاول على الناس ، لا مجرد التلذذ بالجمال والزينة، فانهما مطلوبان فى كل حال . « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انهلا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » (٣)

ان الحرص على الجمال ابتغاء الحصول عليه مما يحبب فيه الاسلام، ويدعو اليه حتى يشعر الانسان براحة نفسية من جانب ، ويحتفظ بكرامته فلا يستخف به ولا ينزل عن مكانته التى هو أهل لها من جانب آخر .

وكثيرا ما يلفت القرآن نظر الانسان الى الجمال فى الكون والطبيعة والاشياء المحيطة به .

« ولقد جعلنافى السماء بروجا وزيناها للناظرين » (٤) (أم من خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) (٥) .

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » « ٦ »

والله سبحانه يحب الجمال فى كل شىء جمال الاقوال وجمال الافعال وجمال الصفات ، وجمال الاسماء حتى جمال الثياب . فعن مالك بن عوف قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشف الهيئة قال : « هل لك من مال ؟ قلت. نعم قال اذا اتاكالله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » . وفى حديث آخر « اذا أتاك الله مالا فلير عليك فان الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنا . ولا يحب البؤس ولا التباؤس » وصح عن رسول الله قوله « احسنوا لباسكم وأصلحوا رواحلكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس » .

والحديث يشيرالى أنالمسلم شخصية فذة ممتازة ، فكما طلب منه أن يطهر باطنه بالايمان بالله والارتباط به ، طلب منه ان يكون فى مظهره كاملا أنيقا ،بحيث يسترعى انتباه الناس فى ملبسه ومركبه وأثاث بيته وحتى يكون فيهم كأنه شامة بينهم . أى بارزا ظاهرا .

فعن ابى يعفور قال . سمعت ابن عمر يقول . وقد سأله رجل عما يلبس من الثياب قال : مالا يزدريك فيه

---

(١) سورة النحل آية (٦) .
(٢) سورة النحل آية (٨) .
(٣) سورة الاعراف آية (٣١ ــ ٣٢) .
(٤) سورة الحجر آية (١٦) .
(٥) سورة النحل آية (٦٠) .
(٦) سورة ق آية (٦ ــ ٧)

السفهاء ومالا يعيبك فيه الحكماء (١)

وكان الحسن البصري يلبس ثوبا بأربعمائة ، وفرقد يلبس المسح ، فلقى الحسن ، فقال ما ألين ثوبك ؟ قال « يا فرقد ليس لين ثيابى يبعدنى عن الله ولا خشونة ثوبك تقربك من الله) وقد انكر أحد المتزمتين على أبى الحسن الشاذلي جمال هيئته وكان هذا الرجل ذا رثاثة فقال له أبو الحسن : يا هذا هيئتى هذه تقول . الحمد لله ، وهيئتكم تقول اعطونى من دنياكم .

ولا يدخل هذا الاستمتاع فى الدنيا التى ذمها الاسلام فى قوله صلى الله عليه وسلم . « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (٢) .

فان المراد بالدنيا التى هى رأس كل خطيئة هي حب الشرف والرئاسة ، وحب المال رغبة فى التفاخر والتكاثر والترؤس والعلو على الناس دون كفاية أو ارادة نصر الحق .

يقول الله تعالى «تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (٣) وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٤) لانه لم يرد بالمال والشرف الا العلو والفساد فى الارض .

أما اذا أراد بالمال والشرف نصرة الحق أو الوجاهة ليأخذ مكانته التي تليق به ، أو كانت له كفاية يريد أن يجعلها فى خدمة أمته فان حب الشرف والمال وطلبهما حسن ، فقد قال يوسف عليه السلام للملك : « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » (٥) .

وطلب احد المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون أمام قومه فقال الرسول « انت امام قومك » .

ومع هذا ينبغى الحذر والتوقى عما يلهى النفس ، ويصرفها عن غايتها المثلى من الطهارة والنظافة وينحرف بها عن معانى الخير الى رذائل الاخلاق ومساوىء الصفات .

« يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » « ٦ » .

حقيقة الزهد

وطلب الدنيا على هذا النحو لا يتنافى مع الزهد ، لان الزهد ليس فى تحريم زينة الله التى أخرج لعباده ولا فى ترك الطيبات من الرزق ، وانما الزهد الذى أراده الاسلام هو الزهد فى الحرام ، والزهد فى الشبهات ، والزهد فى التوسع فى اللذائذ والشهوات التى تصرف الانسان عن واجباته الشخصية والاجتماعية ، وينسى المرء واجبه نحو ربه ، ونحو نفسه ، ونحو أسرته ، ونحو بنى جنسه .

وقد وضع الاسلام تحديدا للزهد فيما رواه الترمذى وابن ماجة من حديث أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ، ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يدى الله أوثق منك بما فى يديك وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب منك فيها لو أنها بقيت لك » .

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس .

« ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » (٧) .

---

(١) رواه الطبرانى . (٢) رواه البيهقى فى الشعب عن الحسن مرسلا .
(٣) سورة القصص (٨٣) . (٤) رواه الترمذى .
(٥) سورة يوسف (٥٥) . (٦) سورة المنافقين آية (٩) .
(٧) رواه ابن ماجة عن سهل بن سعد قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته احبنى الله واحبنى الناس فقال له الحديث » .

مائدة القارئ

من معجزات النبوة

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا الغبار فان فيه النسمة. وهذه احدى معجزات النبوة ، والنسمة كل ذى روح ، والمراد بها الميكروبات .

من تاريخ النساء

قام منصور بن عمار يحض على القتال ، وكان بين السامعين امرأة ، فطرحت رقعة كتبت فيها : رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد ، وقد ألقيت ذؤابتي ــ ضفائر شعرها ــ فلست أملك والله غيرها ، فبالله اجعلها قيد فرس غاز فى سبيل الله ، فعسى الله ان يرحمنى ،فارتج المجلس بعد قراءة هذه الرقعة بالبكاء تأثرا وثارت الحماسة فى نفوسهم .

مواساة بليغة

روى ان عبد الملك بن مروان بنى بابا فى بيت المقدس باسمه ، وبنى الحجاج بابا باسمه ، وحدث ان صاعقة نزلت فأحرقت باب عبد الملك فقط فعظم ذلك عليه ، وتشاءم منه ، فكتب الحجاج اليه « بلغنى ان نارا نزلت من السماء ، فأحرقت باب امير المؤمنين ، ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا فى ذلك الا كمثل ابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ، ولم يتقبل من الآخر » فسرى عن عبد الملك بذلك .

اشارة أصرح من عبارة

يحكى أن المأمون غضب على عبد الله ابن طاهر، وشاور أصحابه فى الايقاع به، وكان قد حضر المجلس صديق له، فكتب اليه كتابا فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى)) فلما فضه،ووجد ذلك تعجب، وما زال يطيل النظر فيه ، حتى أدرك أنه يريد ((يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك)) .

اعتزاز

يروى أن كلبا حاول مرة قتال أسد فامتنع عليه الاسد أنفة منه ؛ فقال الكلب سأمضى، فأخبر السباع بضعفك ، فقال الاسد : لان تعيرنى السباع بذلك أحب الى من أن ألوث شاربى بدمك .

واحدة بواحدة

روى أن رجلا جاء الى ابى حنيفة يشكو اليهأن جاره حفر بئرا فى داره بجوار جداره، وأن استمرار البئر يؤثر فى الجدار، فقال له : حدث جارك ، فقال : حدثته ، وامتنع ظالما ، فقال له : أحفر فى دارك بالوعة فى مقابل بئره ، ففعل ، فاندفع ماء البالوعة القذر الى البئر ، فاضطر صاحبها الىان يردمها.

الى بيت مال المسلمين

تفقد عمر بن الخطاب يوما ابل الصدقة، فوجد بينها ابلا سمينة ، فقال : لمن هذه الابل الجيدة ؟ قيل : لابنك عبد الله ، فاستدعاه ، وقال له : بكم اشتريت هذه الابل ؟ قال بكذا . قال عمر : لك ما اشتريت به . أما الابل فهى لبيت المال . قال عبد الله : وكيف ذلك ؟ فقال عمر : انهم يقولون هذه ابل ابن أمير المؤمنين فارعوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فاسقوها . هذه ابل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها . لك ما اشتريت به ، ثم هى لبيت مال المسلمين .

اشترى لسانه

كان الخليفة المعتصم بالله فى مجلسه، فدخل عليه رجل ، وفى يده نعل فى منديل ، وقدمها الى الخليفة قائلا : هذا نعل رسول الله !

فأخذها الخليفة، ووضعها بين عينيه، وقبلها ، وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فلما انصرف الرجل تعجب جلساء الخليفة فابتسم وقال لهم : انى أعلم أنها ليست نعل رسول الله ، ولكنى خشيت ان رددته أن يخرج بين الناس ويقول :أتيت بنعل رسول الله لخليفة رسول الله ، فنهرنى،فيكون الناس أميل الى تصديقه منهم الى تكذيبه ، فأردت أن أشترى لسانه وأصون عرضى .

بلاغة معاوية

كتب ربيعة بن عسل اليربوعى الى معاوية كتابا يسأله فيه أن يعينه فى بناء داره بالبصرة ، وطلب منه أن يمده باثنى عشر ألف جذع نخل ، فرد اليه معاوية الكتاب بعد أن كتب فى أسفله ((أدارك فى البصرة أم البصرة فى دارك ؟)) .

سبب السيادة

مر رجل بأهل البصرة ، فقال : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن ، قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى عمله، واستغنى هو عن دنياهم .

ما رأى الطب الحديث

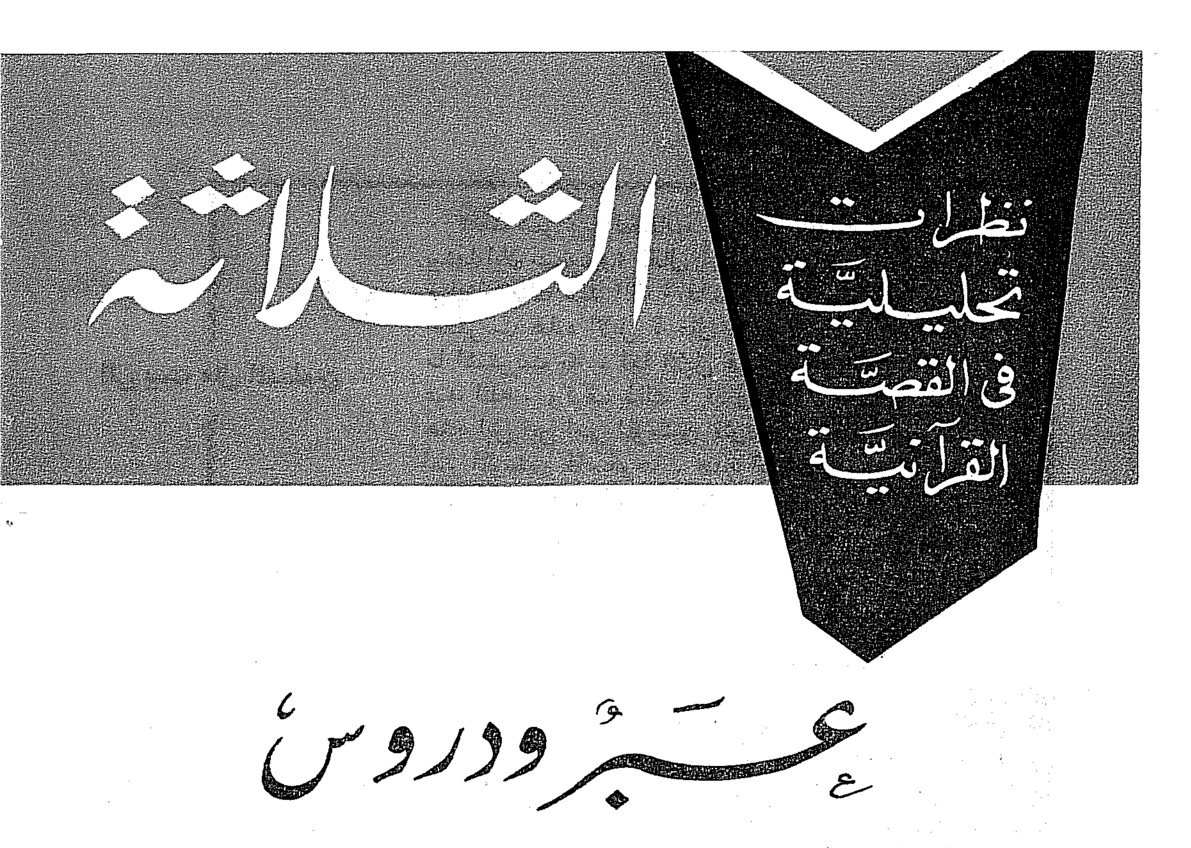
اجتمع الجاحظ ، وابن بختشيوع على طعام ، وكان من ألوان الطعام سمك ولبن ، فأراد الجاحظ أن يأكل منهما ، فنهاه ابن بختشيوع عن ذلك فقال الجاحظ :

ان كان السمك مضاد للبن فانى آكلهما ، وأدفع بكل منهما ضرر الآخر ، وان كانا متساويين فكأنى أكلت شيئا واحدا .

فقال ابن بختشيوع : أنا لا أحسن الكلام مثلك ، ولكن ان شئت فجرب وكل .

فأكل الجاحظ ، فأصيب بالفالج والنقرس ، ودخل عليه بعض أصدقائه يعوده فقال له : كيف حالك ؟

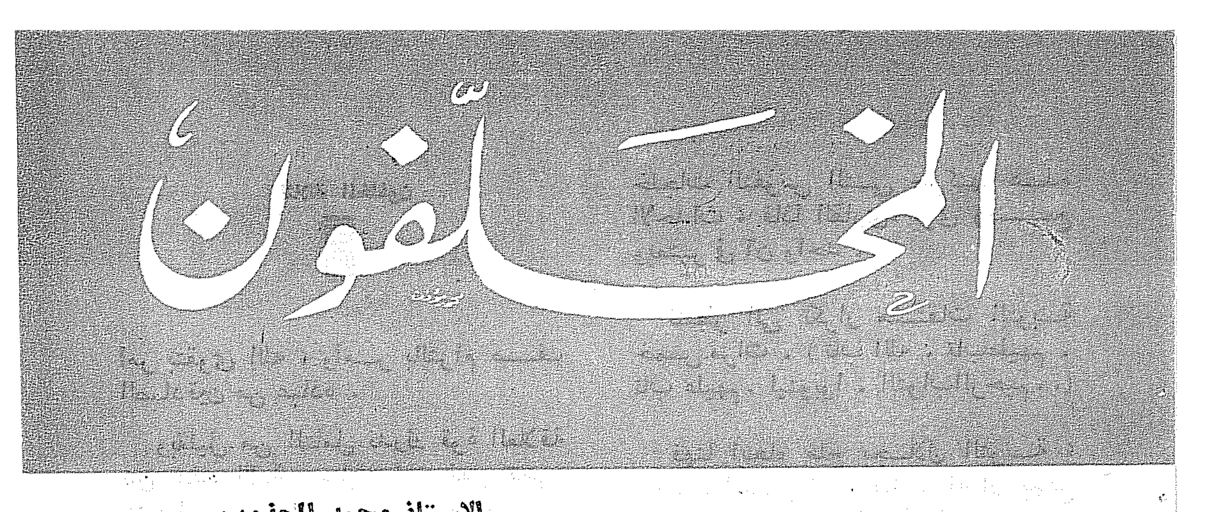
فقال الجاحظ : اصطلحت علي الاعلال لو خرج شقى الايمن ما أحسست به من الفالج ، ولو مرت على شقى الايسر ذبابة اوجعتنى من النقرس ، وأشد ما أشكو منه التسعون !!



وردت هذه القصة فى آيات ثلاث من اواخر سورة التوبة ، وذلك فى قوله تعالى ((لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)) .

((ان مجرد ورود قصة المخلفين — على قصرها — فى سورة التوبة يفرغ عليها لونا مميزا ترتقى فيه العبرة الى قمتها . ذلك لأن السورة كلها معرض رهيب للجهاد والقتال والصراع النفسى ، تمر خلاله مواكب الناس مكشوفى القلوب والسرائر ، فيهم أهل النفاق الذين عجزوا عن مواجهة الاسلام بصراحة مشركى قريش ، فعمدوا للتسلل الى ايذاء النبى والمسلمين من سراديب الدسائس والتآمر والتمثيل المضلل .. وفيهم الاعراب الذين عجزوا أيضا عن مقاومة القوة الاسلامية ، فأعطوا طاعتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، متربصين بالاسلام الفرصة المواتية ، ليقلبوا طاعتهم تمردا يحرق الاخضر واليابس .. ثم فيهم الجماعة الجديدة التى فتحت قلوبها ومشاعرها لنور الله ، فهى تتلقى أشعة الوحى تربية نبوية ، تزكو بها النفوس ، وتصفو بها الضمائر ، ويستقيم بها الفكر ، فتنمو على هذا الهدى ((كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)) .

وفى هذا الجو الرهيب الحبيب تكثر النذر والقوارع ، والأنباء الكاشفة لأحداث المستقبل ، والبشريات التى تعين للمترددين طريق النجاة ، وللمؤمنين المتقين عواقب الهداة ، بعد أن سلطت الأضواء على أوضاع الجميع ، فعلى



الاستاذ محمد المجذوب
المدرس بالجامعة الاسلامية ــ المدينة المنورة

الميامن كتائب الايمان مرصوصة الصفوف، قد عرفت طريقها فى ضوء الوحى ، فهى تبذل كل شىء للعبور الى ضفة السعادة. وعلى الشمائل أوزاع الكفر والنفاق والانتهاز ، تغامر بكل وجودها ومصيرها ومواهبها لصد انطلاقة النور .. ولاستبقاء الحياة مغلقة بأسداف الظلام ..

وقد جلت السورة الكريمة كل هذا وذاك ، ليكون الناس على بصيرة مما هم فيه ، وما هم مقبلون عليه ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » ..

وخلاصة الآيات الثلاث اخبار ربانى سعيد يعلن قبوله تعالى جهاد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وثناءه عليهم بتحملهم أعباء السفر والقتال فى أشق غزوة صاحبوا فيها قائدهم الأعظم ..

وفى أثناء هذا الاخبار يأتي ذكر التردد الذى راود بعضهم عند تلقيهم دعوة الرسول من أجل الاعداد والتأهب لهذه الغزوة ، فاستكبروا السفر فى ذلك الحر المهلك ، وقارب التردد أن يثبطهم ، لو لم تتداركهم رحمة الله بتغليب ايمانهم على حب الراحة ، وتثبيتهم على سنن الطاعة ، فاستحقوا بذلك رضوان ربهم ، واطمئنان قلوبهم ، وهم الذين أشار اليهم بقوله « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » .

ثم يعقب ذلك مشهد الثلاثة ، الذين تخلفوا عن تلك الغزوة ، وحرموا أنفسهم مرافقة الرسول وجنوده ، ومشاركتهم فى الخير الجزيل الذى انتهوا اليه . وتغوص الآية الى مكنون صدورهم، فاذا هم فى غمرة حادة من الندم اللاذع ، يضيق فى أعينهم رحب الأرض ، ويضغط على صدورهم بأثقاله الفادحة ، وقد سد دونهم المنافذ ، فأيقنوا أن لا مهرب من قبضة العدالة الالهية ، الا بنفحة من الرحمة تهب عليهم من حيث لا يحتسبون ... ولكن هذا الحرج العميق سرعان ما يتلاشى عندما تأتى الخاتمة المحببة ببشرى المغفرة ، تنبئهم بأن الله قبل توبتهم ، وشملهم بعفوه ، بعد أن طهر الأسى كيانهم من امكان العودة الى مثل تلك الزلة الخطيرة .

وهكذا ختمت المأساة أبهج ختام ..

ثم تأتى الآية الثالثة ، وكأنها تقرير مستقل ، يوجه النداء الى المؤمنين كافة بأكرم اوصافهم ، ثم يعقب النداء بتوجيهين لا أحب منهما الى قلوبهم :



أمر بتقوى الله ، وأمر بالتزام صف الصادقين من عباده .

وبقليل من التأمل ندرك قوة العلاقة بين هذه الآية وسابقتها ، فهي تجيء كتعليل عميق للسر الذى من أجله استحق هؤلاء الثلاثة قرار العفو الاعلى .. انه التقوى ، التى تخلص القلوب لله وحده ، فتعصمها من اضمار مالا يرضاه ، ايمانا بعلمه الذى لا يعزب عنه شيء . ثم الوقوف فى خط الصدق ، الذى يخلص اللسان من الباطل ، فلا يتحرك الا بالحق ، توقيرا لله الذى لا يرضى عن الكاذبين ..

فكأنه تعالى يقول للمؤمنين : هؤلاء زلت بهم قدمهم الى المعصية ، وكان فى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم بغير الحق ، كما فعل المنافقون ، ولكنهم لم يفعلوا ؛ لأنهم آثروا متاعب الصادقين ، على مصير المنافقين .. فاجتهدوا أن تلتزموا صفاتهم التى بها استحقوا المغفرة .

هذه المعانى وحدها كافية لتجعل من الآيات الثلاث منهجا توجيهيا بعيد الاثر فى تكوين الضمير المسلم .. اذ تعطينا الخطوط الكبرى للشخصية المسلمة ، التى قد تزل ، ولكنها سرعان ما تعود الى الاستقامة ، فاذا هى مبصرة ، نادمة ، تائبة ...

فاذا ما أنعمنا النظر فى بنائها التعبيرى شاهدنا التساوق العجيب بين اللفظ والمعنى ، بين القالب والمحتوى ، وذلك بعض مواطن الاعجاز .

ان لألفاظ الآيات أشعة خاصة ، تضيء ساحة المعانى بما تبرزه من صور الأحداث التى هى موضوع الآيات ، ومن خلجات النفوس التى حركتها هذه الأحداث ، فاذا القارىء يرى ويسمع ويعتبر فى آن واحد .

لننظر الى تكرار مشتقات التوبة خمس مرات . (تاب الله . تاب عليهم . تاب عليهم . ليتوبوا . التواب الرحيم ..)

فهنا ايحاء ملح بجلال التوبة ، وجمال استعجالها ، من شأنه أن يدفع القارىء المؤمن الى التوبة دفعا ..

ثم لننظر الى هذه التعابير المفزعة . (ساعة العسرة . كاد يزيغ قلوب فريق منهم . ضاقت عليهم الأرض . ضاقت عليهم أنفسهم . لا ملجأ من الله الا اليه ...) .

فأنت لا تستطيع التصور النهائي لحدود العسرة التى احتوتها تلك الساعة .. ولا تستطيع كذلك ادراك نوع الزيغ الذى راود قلوب ذلك الفريق .. ولا يمكن لمفكر أن يحدد الصورة التى انكمشت اليها الأرض فى حسهم ، ولا الضيق الذى صارت اليه نفوسهم .. ولكنك تستشعر الواقع النفسى الذى عاشه أولئك الثلاثة ، والجو الخانق الذى عانوا ضغطه .. وجاهدوا للتخلص منه بكل طاقاتهم ، فلم يجدوا منفذا ولا ملاذا الا الاستسلام لأمر الله ، والضراعة اليه ..

فاذا قرأت بعد هذا . (يا أيها الذين آمنوا ..) فوجئت بمثل النسمة الناعمة تداعب وجهك بعد لذع السموم .. فتتنفس ، وتفتح للنفحة رئتيك .. وبذلك تتأهب لاستقبال الأمر الالهي الحبيب . (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين .) فالسبيل الوحيدة اذن للنجاة من كل هاتيك الأهوال محصورة فى نطاق التقوى ، والصدق .. وهما مجمع الفضائل ، ونهاية الشمائل التى يحبها الله .

على أنك مع ذلك كله لا تعرف من هؤلاء الثلاثة .. ولا موضوع التخلف أو الذنب الذى اقترفوه ، فجوزوا عليه بكل هذا البلاء .. فكأن القضية ليست قضية اشخاص أخطأوا فأنابوا بمقدار ما هى قضية نظام الهى يستهدف مجرد الردع عن مثل تلك الخطيئة ، وفتح أبواب التطهر من آثارها ، ـ للذين امتحنوا بنظير ذلك الموقف ...

غزوة تبوك

فاذا ما رجعنا الى الصحيح من أسباب النزول ، نستوضحها من تفاصيل الحدث وهوية أصحابه ، وجدنا أنفسنا أمام الخلاصة التالية .

تخلف كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن مرة عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، لغير عذر مشروع سوى ايثار الراحة ، والفرار من الحر الهائل الذى كانت تغلى به الصحراء حينذاك .. وكان المتخلفون سواهم فى المدينة غير قليل ، الا أنه ليس منهم الا مشبوه العقيدة ، معروف بالنفاق والرياء .. أما أشباههم من جنود الايمان وأهل السابقة ، فقد انتظموا فى الركب الغازى ، هاجرين الظل والماء والثمار ، ليتحملوا مع قائدهم المفدى أعباء الحر والجوع ، وأصناف العناء ، ايثارا لما عند الله من ثواب .

وبلغ الجهد بالغزاة المحتسبين أشده ، حتى كان الاثنان يقتسمان التمرة ، والثلاثة يتداولون البعير .. وقد أرهقهم العطش ، حتى أحسوا رقابهم ستنقطع ، وحتى لينحر الرجل بعيره ليعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى من فرثه على صدره ليبرد من وقدة الحر ...

ولكن الله يسر لرسوله وللمؤمنين بهذه الغزوة العسرة أفضل النتائج .. فجاسوا خلال ديار العدو من الروم ، دون أن يجرؤ على مواجهتهم ، وخضدوا شوكته بما عقدوه من مصالحات مع أشياعه من متنصرة العرب ، فى (أيلة وأذرح وتيماء ودومة الجندل) .. وحقق الله لرسوله الغاية العليا من هذه الغزوة ، اذ أشعر الروم ومن معهم من الطواغيت أن لا سبيل الى منع أشعة الاسلام من التدفق عبر الحدود ، التى يحبسون وراءها عقول الناس ، وأفهم المنافقين ومن وراءهم من اليهود أن الاسلام قد جاء ليبقى ، فلا طاقة لأية قوة بمقاومته ، حتى ولو كانت هذه القوة دولة الروم ، التى تبسط سلطان بغيها وارهابها على القارات الثلاث ...

وهكذا عاد رسول الله ومعه الألوف الثلاثون من جنوده الى عاصمة الاسلام ، تقدمهم البشريات ، وتستقبلهم الولائد بالنشيد الخالد .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

وهنا أقبل مرضى القلوب الى رسول الله ، يعتذرون عن تخلفهم ، ويختلقون له المسوغات ، ويحلفون على ذلك .. فيقبل منهم علانيتهم ، ويكل الى الله سرائرهم ..

عزلهم عن المجتمع

ولم يكن بد للثلاثة من مواجهة النبى صلى الله عليه وسلم والادلاء بما لديهم من الأسباب التى قسرتهم على التخلف ، فجاءوا يتعثرون ، فلما كانوا بين يديه أعلنوا افلاسهم من كل عذر ، بل لقد أكدوا له أنهم لم يكونوا يوما أقدر منهم على السفر فى ذلك اليوم ... فشهد لهم صلى الله عليه وسلم بالصدق ، وأخر البت بأمرهم حتى ينزل فيهم قضاء الله .. وقد اكتفى بعزلهم عن المجتمع

البقية على ص ٦٤ ، ٦٥

الله

نورك في روحنا .. نحـــس بـــه
يلمس أغوارنا .. فيجعلنـــــــا
ما أعجب الكون . في تألقـــــه
يعجزُ عنه ، ولا يحيـط بـــه
نورك فيه ، حقيقـة أخـــذت
يامبدعا خلقه بقدرتــــه
النور سرُّ الوجود .. منطلـــق
في الزهـر تعطيه روضة أنـــف
في الليل .. في النجم .. في الكواكب .. في
في دمع باكٍ .. ونوح باكيـــة
في كل شئ نراه .. يكشف عـــن

في فلك بالضمير .. دوّار
مثل عباب للشرق هـــدّار
بين شموس به وأقمـــار
ركضُ خيالٍ ، أو وثبُ أفكـار
أطراف آفاقه ، بمقـــدار
وجلّ ربي المصور البـــاري
بلا حدود .. بغير أغـــوار
واللحن يلقيه سرب أطيـــار
الأفلاك منها .. في النور والنـار
وشدو شادٍ .. وشوق سُمّـــار
بطش حليم .. وحلم جبّـــار

نور السموات والأرض

للاستاذ عبد العليم عيسى
مديرية التربية والتعليم ـ كفر الشيخ

النور يَهْدي .. والنور يفْتِنُ .. والـ ـنور عليه .. حجاب أســـرار
طوبَى لمن يشهدون ضَحْوَتَــه عند التجلي بغـير أبصـــار
شهود روح بغير جارحـــة وعلم نفس بغير أفكـــار
في سدرة المنتهى .. وقد وقفـوا على فجاج . غريبـة الــدار
تلفتوا .. واستعادَ هائمهــم دعاءَ ليلٍ ، وذكـرَ أسحـار
وأمسياتٍ للشوق ، .. ما حملت إلا نسيما ، وعطـرَ أزهـار
وأغنياتٍ ، لم يُدْرَ قائلهـا ولم يلِنْ لحنُهـا لزمّـار
كانت به للقـاء سالكـةً أنوار ليـلٍ ، وليل أنـوار
نازعةً عنه ما يحسُّ بـه من حجبٍ دونـه وأسـوار
حتى إذا ما دنا لغايتـه في صحبةٍ للطريق أبـرار
صاح .. فصاحوا .. وأنت مُلْهِمُهُم فرحـة صيفٍ .. وبشْـرَ زُوّار

بقية : الثلاثة المخلفون

الاسلامى ، فنهى عن مخالطتهم وكلامهم، وفصل بينهم وبين أزواجهم ، الا زوجة هلال التى جاءت تستأذن رسول الله فى خدمته ، لأنه شيخ ضائع لا معين له ، فأذن لها على ألا يقربها ..

وتتابعت الأيام ثقيلة مخيفة على هؤلاء المنفيين فى أهلهم ، لا يجدون من يرد عليهم تحية ، أو يؤنسهم باشارة .. وقد بلغ بهم الخوف ذروته أن يموتوا على هذه الحال ، فلا يصلى عليهم رسول الله ، أو يستأثر الله بنبيه ، فيستمر المسلمون على مقاطعتهم تنفيذا لأمره صلى الله عليه وسلم ..

وفى غمرة هذه المحنة .. يفاجأ كعب بمحنة من نوع آخر ما كان ليتوقع مثلها قط ، ذلك أن تاجرا من انباط الشام ، جاء المدينة ببضاعته ، فجعل يسأل عن كعب حتى قيض له من يدله عليه ، فمد يده اليه برسالة ملفوفة فى حرير ،يقول له فيها ملك غسان النصرانى . (.. أما بعد ، فقد بلغنى أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ..).

وآلم كعبا ما فى هذه المراودة من اهانة له ، اذ طمع به أعداء الاسلام ، فهم يساومونه على مفارقة رسول الله والارتداد عن دين الله ... فبكى وناح على نفسه ، ثم قذف بالحرير وما فيه الى التنور ..

وتمت على هذا الوضع خمسون ليلة ، ما انقطع الثلاثة فيها عن بكاء ، ولم يستروحوا فيها نفحة عزاء .. (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ...) فنزلت رحمة الله ببشريات المغفرة لهم ، واندفع الصحابة يركضون ليؤذنوهم بالفرج : وليقرأوا عليهم ما أنزل الله فيهم من آيات ((التوبة)) .. فكان ذلك اليوم عليهم خير أيامهم منذ ولدتهم أمهاتهم ...

ويقرأ المؤمن اليوم قصة المخلفين فى الكتاب الحكيم ، وفى كتب السنة الصحيحة ، فيحس بالقشعريرة تهزه ، وبالانفعال يهيجه ، حتى يفجر دموعه .. ولعله يتساءل عن السبب فى كل ذلك الذى يشعر به فلا يجد له تعليلا ،سوى تلك الوشائج من قرابة الروح ، تصل بينه وبين ذلك الرعيل الاثير ، فتجعله متجاوبا مع حركاته وسكناته ، يبكى لبكائه ، ويضحك لضحكه ، وينفعل بتجاربه، رغم ما يفصل بينهما من أبعاد القرون ..ولكن.. ومع ذلك قليلون الذين يفطنون الى عبر القصة ، ويحاولون أن يستخلصوا منها الخطوط التى يجب أن تحدد لهم معالم الطريق .

نحن أمام عبر وعظات

انالعبر فى القصة لعديدة ، ولا سبيل الى استيفائها كلها ، الا اذا أمكن تجميد الأحداث ، بحيث لا يقع منها غدا الا ما وقع حتى اليوم ... ولذلك لا مندوحة من الاقتصار على القليل ، الذى من حقه أن يعلمنا الكثير ..

فأولى هذه العبر : تنبثق من موضوع غزوة تبوك نفسها ، اذ كانت مناورة لا بد منها لردع العدو الرومى عن حدود الدولة النبوية ، بعد أن أثبتت محاولاته الكثيرة أنه يتربص بها الدوائر ، فلا ينفع فيه غير القوة .

وتأتى من بعد ثانية العبر متصلة بسابقتها اتصال المقدمة بالنتيجة : ذلك أن فكرة الردع تقتضى اعداد القوة الروحية ، التى تستهين بأشد المشاق لصيانة الوجود الاسلامى ، الذى لا يحترمه المخالفون له الا بمقدار ما يخافونه . ومن هنا كان توقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعد الغزوة فى أعسر الظروف .،. حر فى الصحراء يلهب الجو ، ويشقق الارض ، ويجفف

الأعصاب ، وضيق فى التموين يفرض على الغزاة تقنينا لا يكاد يعيش عليه الانسان ، وشدة فى الزمن الذى تستكين فيه الطبيعة البشرية الى طلب الظل وانتظار الجنى ، والاستمتاع بثمرات الجهود ... وكان من معهود شأنه صلى الله عليه وسلم ألا يصرح بالوجهة التى يريد أن يجعلها مغزاه ، الا فى غزوة تبوك هذه ، فقد أعلنها للناس ، ليتخذوا الأهبة التى تتلائم مع بعد الشقة وشدة الزمان ، ولتكون محكا حاسما للنفوس ، فلا يستجيب لها الا من كانت مرضاة الله ورسوله أحب اليه من كل شىء ..

ثم تأتى الثالثة ، وتتجلى فى خروج المؤمنين جميعا ، على الرغم من تثبيط المنافقين ومؤامرات اليهود ، لم يتخلف منهم الا ضعيف لا يجد ما ينفقه ، ولا يملك ظهرا يحمله ، فعاد فائض العينين من الدمع حزنا ألا يجد الى مرافقة رسول الله سبيلا ... ثم هؤلاء الثلاثة الذين قدر الله أن يحرموا تلك النعمة ، ليكونوا فى النتيجة موضوع درس الهى تتناقله أجيال المؤمنين ، فيتعلمون منه كيف يؤثرون أمر الله ورسوله على راحتهم وأهليهم وأموالهم ..

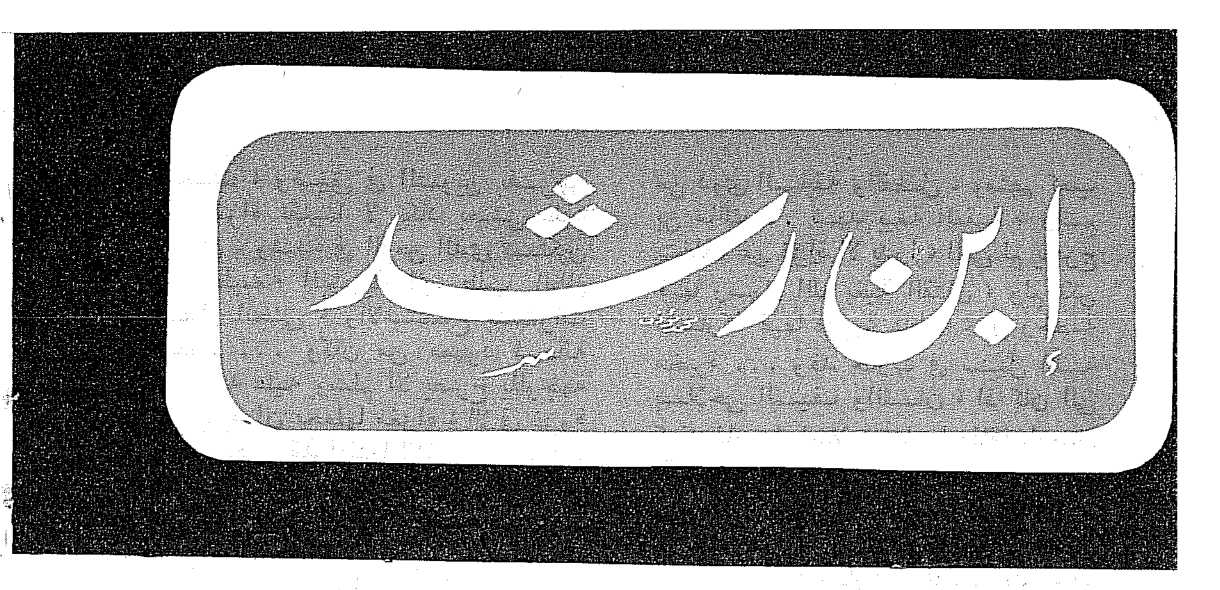
وتأتينا رابعة العبر ماثلة فى وحدة الصف الاسلامى ، وتماسكه حول القيادة النبوية ، اذ ما كاد المسلمون يسمعون أمر رسول الله بمقاطعة المخلفين الثلاثة حتى عمدوا الى تنفيذه بدقة ، حتى الزوجة فارقت زوجها طواعية ، وحتى ليجد المخلف القطيعة من أقرب الناس اليه ، فلا يرد عليه سلاما ، ولا يستمع منه كلاما ... وحتى لنجد المحكوم نفسه مقيدا نفسه بالتزام الحكم ، فلا يرضى باستئذان رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته بخدمته ، بل يأمرها بمفارقته حتى يقضى الله قضاءه فيه .

ونستطلع العبرة الخامسة فنشهدها فى عدالتها العليا ، اذ كان المحكومون بها من ذوى السابقة والفضل ، ومنهم كعب بن مالك .. شهد بيعة العقبة ، ولم يتخلف عن غزاة الا بدرا ، التى لم يخرج فيها رسول الله بغية القتال ، ولم تكن المشاركة فيها عزيمة قاطعة ، بل رخصة مخيرة ... وقد حارب فى سبيل الله بسلاحى السيف واللسان ، اذ كان الى كونه فارسا باسلا ، شاعرا مفلقا ،أرسل الكثير من الشوارد مدحا للمصطفى صلى الله عليه وسلم ، واعزازا لدين الله ، ورغما لأعدائه .. ومع ذلك لم يعمل شيئا من بيانه البارع فى تزوير عذر ، أو تزويق وزر ، بل آثر الصدق فى الاقرار ، فكرمه الله بجعله مع رفيقيه من أئمة المتقين الأخيار .

ومجرد أخذ هؤلاء الصفوة بالعقوبة ، ثم تداركهم بالصفح والتوبة ، آية أخرى على أن الاستمرار على صالح العمل من خصائص الايمان الصحيح ، فلا تخفف سابقة التضحية من عواقب المعصية .. الا أن تتطهر القلوب من أوضار الذنوب ، بتوبة نصوح ، تؤكدها حرقة الندم على ما فات ، والتصميم القاطع على الاقلاع فيما هو آت ...

وأخيرا لعل أهم عبر القصة أنها درس من أيام النبوة ، فيه عبير الوحى ، ورحيق التربية المحمدية ، التى قدمت للتاريخ الانسانى النموذج الاكمل لخير أمة أخرجت للناس .. ومن أجل ذلك كان لزاما على المسلمين أن ينتفعوا بايحاءاتها الربانية ، ليعرفوا كيف يصبرون على التزام المنهج .. الذى لا سبيل غيره الى استعادة القيادة العالمية.

والقارىء المفتوح القلب حين يتتبع هاتيك العبر لا يفوته أن يستبين بعض جوانب الحكمة فى تنويج هذه السورة العظيمة بهذا الاسم ((سورة التوبة)) .



أحوال المغرب والاندلس في عصره .
نشأته ومنصبه . طبه وفلسفته .
تشويهه بسبب صلته باليهود .
دفاعه عن الفلاسفة . أزماته ونهايته .

ابن رشد : هذه شهرته . وهو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي (١) أحد قضاة الاسلام له مؤلفات اسلامية، وهو طبيب . وبعد هذا وذاك فيلسوف ، فمن يرد الكتابة عنه يجب أن يكون دارسا لعلوم الدين الاسلامي ،والا فان كتابته تسير على رجل واحدة . وهو رجل مركب ينبغي أن يلم الكاتب بجميع نواحيه ، لا سيما السياسية لانه كان أحد رجال الدولة ، ومن المقربين للخليفة ، فمن يكتب عنه يجب أن يكون واقفا على تاريخ بلاده في ذلك العصر ، والا فلا يجوز له أن يكتب .

والمؤسف أن بعض الكتاب يكتبون متأثرين الى حد كبير بأساتذتهم من الأوروبيين والمستشرقين ، فيزيدون الطين بلة ، بدلا من أن ينقوا هذه الكتابات من الأخطاء والأغلاط والدسائس التي ترد في كتابة أولئك الغربيين الذين لا يبالون بما يكتبون ، لأنهم لا يتعمقون في دراسة كتب الاسلام ، ولا يهمهم الانصاف عامدين .

خلاصة تاريخ الأندلس من الفتح الى عهد ابن رشد

معلوم أن الأندلس فتحها طارق وسيده موسى ابن نصير سنة ٩٢ هـ وتوالى عليها ولاة الخلفاء الى أن كان الانقلاب العباسي ، فدخلها من الامويين عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٩ هـ هاربا من العباسيين ، وما زال يعمل حتى رسخ أقدامه ، وهابه العباسيون ، فتركوه وشأنه . وتعاقب الأمراء على الأندلس من ذريته يلقبون بالأمير فقط لا يدعون الخلافة ، الى أن تقلب الأتراك على الخلفاء العباسيين ، فتجاسر عبد الرحمن الناصر على

(١) ويلقب بابن رشد الحفيد تمييزا له عن جده المتوفى ٥٢٠ هـ بقرطبة . وقد توفى الحفيد بمراكش في منفاه ونقلت جثته الى قرطبة . « الوعى »

• أبعد فلاسفة العرب صيتاً وأعظمهم تأثيراً في أوربا
جوستاف لوبون

• عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد فتأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربية .
دكتورة هونكة

للأستاذ : احسان النمر ـ نابلس

التلقب بلقب أمير المؤمنين ، وقد بلغت الأندلس ذروة المجد فى عهده الذى دام خمسين سنة ، وكان يتولى قيادة الجيوش بنفسه ، ولم تقتصر حروبه على اخضاع الثوار فى الداخل ، واخضاع المناوئين فى الخارج ، بل اجتاز الحدود الى افريقيا ، فاستولى على المغرب ، ليصلح ما أفسدته دعوة الفواطم ، وقد استولوا على مصر ، وانتقلت أسرة الملك اليها .

وعلى أثر موت عبد الرحمن الناصر تولى ابنه الحكم ، وكان ضعيفا ، وقد بدأ انهيار عظمة الأندلس بعاملين داخلى وخارجى .

لقد مات (الحكم) عن ولده (هشام) الطفل فاستوصت عليه أمه ، وتولى الأمور وزيرهم الملقب بالحاجب المنصور بن أبى عامر ، وعظم شأن ولده حتى طمعوا فى الخلافة والحلول محل البيت الأموى ، وكان هذا هو الأصلح ، لأن تربية البيت الأموى ضعفت ، الا أن البيت الأموى والشعب أطاحوا بالعامريين ، ولكن الأمويين اختلفوا بعد ذلك فيما بينهم ، وما زالوا فى تناحر حتى انقرضوا ، فاستقل ولاة المقاطعات كل فى مقاطعته ، فشكلوا ما يعرف بملوك الطوائف ، ولم يكتفوا بهذا ، بل انهم غفلوا عن الامارات الاسبانية التي كانت تنمو فى الشمال ، فصاروا يتحاربون ، ولم يكتفوا بهذا ، بل صاروا يستعينون بهم ضد بعضهم البعض ، فاغتنم أمير الاسبان ذلك ، وأرسل اثنى عشر ألفا من رجاله نزلوا فى قلب الأندلس ليكونوا جاهزين للنجدة .

وهنا انتبه كبار ملوك الأندلس لا سيما ابن عباد صاحب اشبيلية ، فاستنجدوا بملك الملثمين يوسف بن تاشفين فاجتاز الحدود الى الأندلس ثم أتى بعد الملثمين الموحدين ، وفى عهدهم نشأ ابن رشد .

الملثمون والموحدون

لما شغل أمراء الأندلس ببعضهم البعض ، وبالاسبان سادت شمال افريقيا الفوضى ، واستقل الأمراء كذلك فى المقاطعات ، فنمت امارة بربرية عرفت بالملثمين ، لأنهم كانوا دائما يتلثمون ، وجعلوا ذلك رمزا لهم ، وقد بلغت من القوة شأوا كبيرا حينما استنجدت بهم الأندلس ، وكان على رأس الملثمين أمير شديد وهو يوسف بن تاشفين ، فلما دخل بجيشه الى الأندلس قام بطرد الاسبان بعد أن اصطدم بجيشهم المتحالف فى واقعة الزلاقة وكسره شر كسرة ، ولكنهم استسلموا بعد ذلك لترف الاندلس فانحلت روحهم الحربية .

وقد أهملوا افريقيا فنشأت فيها أسرة علوية عرفت بالموحدين ، كان أولهم ((ابن تومرت)) الملقب بالمهدى ، ثم جاء بعده ولده ثم خلف هذا ولده عبد المؤمن ، ثم تولى بعده يوسف الذى فتح

الأندلس ، وجعلها ولاية تابعة لافريقيا ، ثم جاء بعده ابنه يعقوب أبو يوسف المنصور الذى بلغت الدولة المغربية أوج القوة فى جيشها وأسطولها الذى كان أقوى أساطيل العالم ، وفى عهده ظهر ابن رشد وكان الأميران يوسف وولده يعقوب يقلدان الرشيد والمأمون ، فقربا الفلاسفة وأهملا الفقهاء ، فأثار هؤلاء العامة فاضطر الأمير يعقوب الى التراجع . ونكبة الحكماء كما سيأتي .

ابن رشد بين العزة والنكبة

ابن رشد سليل بيت قرطبي عرفوا بهذه الكنية ، اشتغلوا بالفقه ، فتوالى قضاء قرطبة فيهم ، الى أن وصل الى المترجم الذى اشتهر بأبى الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد وقد ولد عام ٥٢٠ هـ الموافق ١١٢٦ م .

نشأ ابو الوليد فى قرطبة ، وتخرج على والده ، وعلى فقهاء قرطبة ومذهبهم المالكى ، وتولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة ، ثم درس الطريقة الأشعرية ، ثم لم يكتف بهذا بل درس علم الطب ، ثم أكب على دراسة الفلسفة من كتب فلاسفة الاسلام الشرقيين ، ثم ابن ماجة وابن طفيل الذى صار يعترف له بالسبق لتفوقه ، وقد عرف فيه هذا فقربه الخليفة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ، ثم ولده يعقوب . الا أنه قرب بعض شبان اليهود ، ومنهم موسى بن ميمون يتلقون عنه الفلسفة ويشيعونها بين الناس ، فهب حساد ابن رشد ، يوغرون صدر الخليفة المنصور ، فانقلب عليه وأبعده عن بلاطه ، فتجاسر عليه العامة حتى طردوه وولده من المسجد مع الشتائم والاهانات . فنزل فى « أليسا » وكان يسكنها وهي ضاحية قرب قرطبة ، ثم رحل الى مراكش حيث توفى يوم الخميس التاسع من شهر صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة هجرية . هذه خطوط حياته فى سطور ..

حقيقة ابن رشد وحال المسلمين فى المغرب والأندلس

استولى العرب على الأندلس وسكانها من المسيحيين واليهود يملأونها ، ولم يدخل الاسلام منهم الا القليل لأنهم لا يعرفون اللغة العربية أو ما يقاربها ، فظلوا على دينهم ، وكانوا على جانب من النقمة على المسلمين ، لانهم أزالوا ملكهم ، اذ كانوا قبل مستقلين أصحاب ملك وسلطان ، فلم يكونوا رعايا لدولة أخرى كما كانت الحال فى العراق ومصر والشام وشمال افريقيا . وظهر أن الذين دخلوا الاسلام من نصارى ويهود الأندلس لم يكونوا مخلصين فى ذلك ، فكانوا هم واخوانهم يتطاولون ويتهجمون على الاسلام ونبيه عليه السلام ، فأفتى الفقهاء باعدام كل من يتجاسر على ذلك ، وما كتاب الشفاء للقاضى عياض اليحصبى الأندلسي الا رد فعل وفتاوى ضد هذا التهجم على النبى صلى الله عليه وسلم .

ان العقاب الشديد الذى نزل بالمتهجمين أعقب انفجارا تمثل فى ثورة عمر بن حفصون التي دامت ربع قرن حول قرطبة بالذات ، ولم يقض عليها الا بمشقة زائدة ، وقد اضر هذا بمسلمي الأندلس وافريقيا ، بطريقة غير مباشرة ، اذ نشأ عنه رد فعل قوى لا يطاق ، وأصبح الفقهاء يسيطرون سيطرة عظيمة على الرأى العام وعلى الملوك والخلفاء ، وبالرغم من عدم ظهور فرق مبتدعة فى الأندلس ، فانهم رأوا فى حفنة من العقليين (الفلاسفة) خطرا على الدين ، فضغطوا على الخليفة ، وحملوه على ابعادهم ، ولما نزلوا بين العامة أهانوهم بنسبة عقليتهم وتعصبهم الشديد ، فأهانوا ابن رشد وقد بلغ عمرا تهدمت معه أعصابه .

ولم تقتصر النكبة عليه بل نكبوا بضعة أشخاص معه ممن يشبهونه ، ارضاء للفقهاء الذين أثاروا العامة ، ومن هؤلاء المنكوبين أبو جعفر الذهبي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضى بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرانى ، وبقوا مدة فى حالة نقمة الى أن اتصل جماعة من أعيان اشبيلية بالخليفة المنصور يعقوب أبو يوسف المذكور ، فرضى عنهم سنة ٥٩٥ هـ فعين أبا جعفر الذهبى مزورا للطلبة ومزورا للأطباء ، وكان يقول عنه ان ابا جعفر الذهبي

كالذهب الابريز الذى لم يزدد فى السبك الاجودة. وقد أصدر منشورا ألغى منشور النكبة وأعاد ابن رشد الى منزلته ، ولكن أمره لم يطل فمات . وقد عطف المنصور على أولاد ابن رشد وكانوا فقهاء فعينهم قضاة فى الأقضية .

ابن رشد الفقيه المجتهد الكبير

نشأ ابن رشد وعاش ومات فى القرن السادس الذى تواردت (١) فيه على المغرب والأندلس ثمار النهضة العلمية العباسية ، وفيه وصلت اليهم ثمار الاجتهاد ونتائج النزاع بين الكلاميين والفرق . وكذا نتائج اجتهاد الأئمة المجتهدين . فى جميع شؤون الحياة .

وكان ابن رشد يلتهم هذه الثمار التهاما عجيبا ، فقد كان من أفذاذ العالم فى الذكاء ، وما زال يدرس وينضج الى أن شعر بأنه من الراسخين فى العلم ، وكان قد درس الى جانب هذا الفلسفة ، ووجد فى نفسه الكفاءة للرد على المتهجمين عليها ، كما سيتبين فى البحوث الآتية ، فالى جانب رده على تهافت الغزالى بكتابه الذى سماه تهافت التهافت الآتى الكلام عليه ، قام بكتابة رسالة سماها « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » حاول فيها التوفيق بين آراء علماء الاسلام والفلاسفة فيما هو معروف بالمتشابه فى القرآن فى قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب » . فهو من الفريق الذى يقول ان حرف الواو قبل الراسخين فى العلم هو للعطف لا للاستئناف ، أى أن العلماء يقدرون على تأويل المتشابه ، فخاض فى التأويل بين الشريعة والفلسفة ، فدلت بحوثه على قدرة عظيمة وفهم ونضوج . وهو فى كل خطوة ينصح بعدم اطلاع الجمهور على مثل هذه الأمور لأنه يرى فى ذلك ضررا وأى ضرر لهم . ومع أنه يصيب فى هذا كل الاصابة الا أنه بهذا حامت حوله شبه العامة ، فتطاولوا عليه ، ولو لم يكن مترفعا عن الجمهور لكانوا معه فى نكبته بدلا من أن يكونوا عليه كما هي العادة ، فطالما ثار العامة لعالم يثقون به ، واضطروا السلطان لرفع الضغط عنه كما حصل فى بدعة خلق القرآن .

ولابن رشد كتبه فى الفقه وهى : كتاب المقدمات ، ومختصر المستصفى فى أصول الفقه ، وكتاب فى التنبيه الى أغلاط المتون ، وكتاب الدعاوى فى ثلاثة مجلدات . ودروس فى الفقه ، وكتابات فى الذبيحة ، وكتاب فى الخراج ، وكتاب فى الكسب الحلال ، وكتاب فى التحصيل الذى جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ونصر مذاهبهم وبين الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف مما دل على سعة اطلاعه .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد

وهو أجل كتبه فى الفقه ويبحث فى العبادات والمعاملات عند المذاهب الأربعة ، وهى الحنفى والشافعى والمالكي والظاهرى (١) وقل ان ذكر شيئا عن المذهب الحنبلى لاعتباره الحنبلى من أئمة الحديث . والراجح أنه انما قصد من هذا المؤلف الكبير الفات نظر الأندلسيين الى المذاهب الأخرى ، وهى خدمة للسلطان يعقوب الذى جاهر بما كان يخفيه أبوه وجده ، وهو هدم ونسف المذهب المالكى . لأنه مذهب بنى أمية .

والكتاب شامل لتحقيقات المذاهب الأربعة لا سيما المذهب الظاهرى الذى كان يزاحم مذهبى مالك والأوزاعى وأصبح اذ ذاك على وشك الانقراض . وهذا جميعه يدل على سعة اطلاع ابن رشد على المذاهب الفقهية جميعها .

كما أن وقوفه على الأصول وقدرته فى فهم المتشابه ومهاجمته الأشعرية وغيرهم تدل دلالة واضحة على قدرته ووقوفه على جميع نواحي وسائل الشريعة الاسلامية .

(١) كانت الأندلس فى تقاطع مع الشرق منذ استقل بها الأمويون فكانت نتائج العلوم فى المشرق تصل الى الأندلس بعد قرن من الزمن وانما تصلهم كتب مشروحة ومنقحة .

(٢) نسبة لأبى داود الظاهر وهو مذهب منقرض .

والذى ينبغى التنبيه اليه هو اتهامه بالزيغ ، فان جميع كتاباته تدل على صحة عقيدته واخلاصه للاسلام .. والورقة التي وجد فيها ما يوهم الكفر بين ورقاته المزعومة ، هى دس من خصومه لا يؤبه له ، كما يفعل اليوم فيمن يريدون توريطه ، وقد تكون لأحد تلاميذه اليهود كما سيأتى ، وقد كان رحمه الله شديد الغيرة على الشريعة ، واليك ما جاء من أقواله عن ذلك فى كتاب فصل المقال المذكور : « فان النفس مما تخلل الشريعة من الأهواء الفاسدة والاعتقادات المحرفة فى غاية الحزن والتألم » .

« وبودنا لو تفرغنا لهذا المقصد وقدرنا عليه وان أنسأ الله فى العمر فسنثبت فيه قدر ما يسر لنا منه فعسى أن يكون ذلك مبدأ لمن يأتى بعد » .

فمن كانت هذه نفسيته وعقيدته فلا يجوز الطعن فيه ولا يقبل أصلا .

معالجته أدلة آراء الفرق لا سيما الأشعرية

ولم يقف عند الأمور الفقهية المارة الذكر ، بل انه اشتغل أيضا فى بحوث الفرق وأدلتها وخوضها بالمتشابه ، فتوصل الى حلول قيمة،وقد نعى عليهم اشتغالهم بذلك ، لانه لا فائدة فيه ، وقد ألف كتابا أسماه « الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والعقائد المضلة » .

وقد صدر هذا الكتاب بقوله : « فقد رأيت أن أفحص هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ، وأتحرى من ذلك كله مقصد الشارع بحسب الجهد والاستطاعة ، فان الناس قد اضطربوا فى هذا المعنى كل الاضطراب فى هذه الشريعة ، حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة . كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة ، وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح الدم والمال ، وهذا كله عدول عن مقصد الشرع ،وسببه ما عرض لهم من الضلال عن فهم مقصد الشريعة وأشهر هذه الطوائف فى زماننا هذا أربعة .

الطائفة التى تسمى الأشعرية وهم الذين يرى الناس اليوم أنهم أهل السنة، والتى تسمى المعتزلة، والطائفة التي تسمى بالباطنية ، والطائفة التي تسمى الحشوية .

وكل هذه الطوائف قد اعتقدت فى الله اعتقادات مختلفة ، وحرفت كثيرا من الفاظ الشرع عن ظاهرها تأويلا نزلوها على تلك الاعتقادات ، وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس وان من زاغ عنها فهو اما كافر واما مبتدع . واذا تؤملت جميعها وتؤمل مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة .

ابن رشد الفيلسوف الشارح

أخذ ابن رشد الفلسفة عن أشهر رجال الأندلس منهم ابن ماجة وابن طفيل وأبو بكر بن العربى وأبناء زهر ، وهو فوق هذا أحد عباقرة العالم ، فقد درس كتب الفلسفة التي ترجمت فى المشرق ونقلت ناضجة الى الأندلس بعد أن هذبها فلاسفة المشرق . الكندى والفارابى وابن سينا ، وقد أعجب به ابن طفيل الفيلسوف الأندلسي فقدمه الى الخليفة يعقوب أبو يوسف الذى كان يقلد المأمون فأشار عليه بشرح كتب ورسائل أرسطو فولع به وبذل جهدا عظيما فى شروحه حتى اشتهر بالشارح ، وقد تفوق بشروحه على أرسطو كما قرر غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب حيث يقول « وأبعد فلاسفة العرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبة ، أجل يعد ابن رشد عادة شارحا لفلسفة أرسطو فقط ، ولكن أرى أن هذا الشارح سبق أستاذه فى بعض الأحيان ، سبقا يثير العجب ، وان فلسفته مقبولة فى كثير من الأمور أكثر من تلك .

ولو عرف ابن رشد حقيقة أرسطو لما غالى فى تقدير أرسطو على أنه موحد وأن له الهيات عالية . مع أنه كان مشركا يعدد الالهة ويستوحى الصخور مثل قومه ، وانما دست الالهيات فى

فلسفته من اشراقية افلوطين الاسكندرى ، وهذا أخذ بآراء الصابئة واليهود والنصارى والزرادشتية ، وقد ترجمها المترجمون من الصابئة على أنها لأرسطو .

ابن رشد يدافع عن الفلسفة يهاجم الأشعرية والغزالي

عج المشرق بالزنادقة وأهل البدع ولما كانت الخلافة قوية فانهم قتلوا الزنادقة وتتبعوهم . قتلوا الجعد ابن درهم ثم الجهم بن صفوان فى العهد الأموى ، وقضى أبو جعفر المنصور على الراوندية ، وقتل ولده المهدى تسعة من الزنادقة وعين عبد الجبار أحد رجاله المعروفين لتعقبهم ، فعرف بصاحب الزنادقة ، الا أنهم كثروا واعتدلوا فأتوا عن طريق المحاجة بالمنطق والسفسطة ، فأمر المهدى العلماء باستعمال المنطق ، فكان أول من تسلح به المعتزلة فكانوا سيوفا على الدهرية والجهمية والشيعة والمرجئة والخوارج وغيرهم ، الا أنهم تطرفوا فى ارجاع الأحاديث الى العقل ، فرجع عن الاعتزال أبو الحسن الأشعرى ، وانقلب يجادلهم ويجادل غيرهم فسمى مذهبه واتباعه بالأشعرية ، وقد كثروا وقووا حتى أخفتوا أهل البدع جميعا ومعهم المعتزلة ، واعتبروا أعلام الاسلام وحماته ، وقد ظهر بعد الأشعرى أبو بكر الباقلانى ، ثم تلاه امام الحرمين أبو عبد الملك الجويني وعليه تخرج أبو حامد الغزالي حجة الاسلام ، واذ ظهر له ولأستاذه أن الفلسفة هي أساس كل ما حصل من النسخ فى عقائد المسلمين ، فقد ألف كتابا فى مهاجمتها سماه تهافت الفلاسفة قدمه بكتاب سماه مقاصد الفلاسفة شرح فيه أقسام الفلسفة ، ثم ألف كتابه فى الفقه والأخلاق وقد أطلق عليه اسم احياء علوم الدين ، ولما وصلت كتبه الأندلس واطلع عليها ابن رشد ثار ثورةعظيمة فالف كتابا سماه تهافت التهافت رد فيه على الغزالي فى مسائله . على أنه لم يكتف بهذا بل قام يهاجم الأشعرية جميعا ليتوصل الى هدم الغزالي الذى يذكره بكنيته أبى حامد .

ابن رشد الطبيب العالم بالطب

وكعادة الفلاسفة فى ذلك العهد درس ابن رشد الطب وتفوق فيه ، وقد درسه على أبىجعفر هارون وقد لازم أبناء زهر لا سيما أبو بكر بن زهر طبيب الخليفة وأبو مروان بنزهر مؤلف كتاب التيسير . وقد تقدم فى الطب حتى أصبح أحد أعلامه فىعصره، وقد ألف فيه بعض المؤلفات والرسائل التي فيها شرح الأرجوزة المنسوبة الى ابن سينا فى الطب ، وكتاب الحيوان ، وتلخيص كتاب الحميات لجالينوس ، وتلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس وتلخيص النصف الثانى من كتاب حيلة البراء لجالينوس ، ومراجعات ومباحث بينه وبين أبى بكر بن الطفيل فى رسمه للدواء فى كتابه الموسوم بالكليات ، وكتاب فى نوائب الحمى ، ومقالة فى حميات العفن ومقالة فى الترياق.وقد ظهر اسمه فى الطب ومشاكله وصار الناس يستفتونه فى الطب كما يستفتونه فى مسائل الفقه ، ولما مات ابن الطفيل طبيب الخليفة عين مكانه الى أن نكب . ومن المأثور عنه قوله : « ان من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله تعالى » .

ابن رشد الفلكى

وكذا فان ابن رشد درس علم الهيئة وتقدم فيه وألف فيه بعض المؤلفات التي منها مقالة فى حركة الفلك . وشرح السماء والعالم وكتاب الطبيعة والسماء ، الى غير ذلك من المؤلفات التي وضعته فى مصاف علماء الفلك .

خفوت اسم ابن رشد فى المشرق وظهوره فى الغرب

ومع أن ابن رشد أكبر دماغ اسلامي بعد ابن عباس الا انه كان خافت الذكر فى المشرق ، لأن كتبه لم تصل المشرق ، كما أنه لم يزره ولم يحج . وقد انهارت الأندلس واستولى الاسبان على اماراتها ، والتهموها الواحدة بعد الأخرى ، ولم تبق الا امارة غرناطة خاضعة لملك الاسبان تدفع له الجزية السنوية ، وقد دامت هذه الحال مدة قرنين أداروا فيها وجههم الى الاسبان ولم يكترثوا

للعالم الاسلامي ، فلما استنجدوا به لم يكترث بهم لأنه كان يجهلهم ولا يعرف عنهم شيئا .

أما ظهور امر ابن رشد فى الغرب فلأن كتبه وكتب غيره أسرت فى سفينة مشحونة الى المغرب فوقعت بيد أسطول صليبي فدخلت فرنسا وايطاليا ، فكانت هي بذور نهضة أوربا . كما يعترف بذلك أحرارهم اليوم قال غوستاف لوبون : « وأبعد فلاسفةالعرب صيتا هو الفيلسوف الشهير ابن رشد الذى كان له أعظم تأثير فى أوروبا » . والمعلوم أن أكثر كتب ابن رشد لا سيما شروحه لآثار أرسطو قد وصلت لأيدى الأوروبيين ، وهي أساس دراساتهم مع غيرها من كتب نوابغ الأندلس . وقد ظهر مؤخرا مؤلف ضخم يزيد على خمسمائة صفحة للدكتورة الألمانية سيفريد هونكة اسمته « شمس العرب تسطع على الغرب » أثبتت فيه بكل دقة أن كل علم فى الغرب أساسه كتب العرب . ومما قالته : « وما أن عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي ، فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة الغربية » .

اليهود يشوهون ابن رشد

لقد ترجم متفلسفة اليهود كتب ابن رشد الى العبرانية بعد أن أضافوا اليها ما شاءوا ، لا سيما تلميذه موسى ابن ميمون وعن العبرانية ترجمت الى اللاتينية ، وقد دسوا فيها نكران ابن رشد للبعث والخلود ، ومن يطالع كتابيه الموجودين بالعربية والتي لم تصل اليهما أيدى اليهود وهما : فصل المقال ، وكشف مناهج الأدلة ، يتحقق أنهم كاذبون ، لأنه يعترف بايمان صادق بالمعاد ، الا أنه يقول ان الأجساد هى من نوع آخر خلاف هذا الجسم الدنيوى الفاني ، وكتبه العربية لم تترجم للغرب ، فظلت عندهم كتبه المزيفة ، وظلوا يعتقدون به الالحاد فينسبون له القول بأزلية العالم ، وبنكران البعث والخلود الأخروى ، واليك ما قاله الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب : « وينكر ابن رشد الخلود والبعث ويصرح بأن على المرء ألا ينتظر ثوابا غير ما يلاقى فى الحياة الدنيا بكماله الخاص » وقال أيضا : « يرى ابن رشد أن العقل العام المطلق باق علىالدهر قابل للانفصال عن الجسم ، وأن العقل الفردى فان مع البدن » وهذا القول يفيد الحلول أيضا مما يتنزه ابن رشد عنه ، وهذا وذاك هو رأى أكثر الغربيين ، قال أ. وولف أستاذ المنطق فى جامعة لندن فى كتابه عرض تاريخي للفلسفة والعلم على لسان ابن رشد : « ونفس الانسان لا تنفصل عن مخه وهي تهلك معه» .

والمؤسف أن يأخذ به عامة كتاب العرب اليوم ، واليك ما قاله الأستاذ أسعد داغر فى كتابه : « حضارة العرب » وأعتقد أنه نقله عن الدكتور غوستاف لوبون : « ومذهب ابن رشد فى الفلسفة أن مادة العالم أزلية ، وأن الخلق حركة اضطرارية فى تلك المادة تنشأ عنه الكائنات ويتولد بعضها من بعض اما الخالق فهو الحركة أو المحرك كما أن المادة أزلية فكذلك المخلوقات . فالنفوس تموت مع الأجساد » .

على أن العلامة الألمانية الدكتورة « سيفريد هونكة » استدركت هذا الأمر وأنصفت ابن رشد حيث قالت : « هل كان ابن رشد كافرا لا يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ ألم يعترف ابن رشد بوجود حقيقتين ، حقيقة نابعة من المعرفة ، وحقيقة صادرة عن العقيدة الدينية ؟ ان من يدعى هذا لم يقرأ قطعيا بتروٍ ما كتب ابن رشد ، انه يؤكد انه برغم كل تباين مادى بين الفرديات فثمت دائما جوهر روحى موحد يجمع بينهما . فالجزء السلبى من الروح هو جزء من الجسد يفنى بموته ، لأن كل ما هو فردى زائل . اما الجزء الايجابى الذى هو من الله وغير الذاتى فهو الخالد . لأنه كالشمس التى تضىء كل الأنحاء والتي هى واحدة دائما وفى كل مكان . وهذا الجزء الايجابى هو طريق اتصالنا بالله وهو خالد لا يموت ، خلود العالم نفسه ، ان من لم يقرأ ابن رشد فانه لم يتعرف على الفلسفة الأصيلة » .

على أى حال فان هذا التشويه يتحمله هو ، لأنه قرب اليهود لا سيما موسى بن ميمون ، اذ ترك لهم تبييض مؤلفاته على ما يظهر ، وترجمتها الى العبرانية دون أن يجد من يقرأها له عن العبرانية.





للدكتور / وجيه زين العابدين
بغداد

الطبيب وزملاؤه

ذكرت فى كلمتي الأولى عن الطبيب المسلم وعلاقته بالمريض ، واليوم أبين ما يجب أن يكون عليه تجاه زملائه الأطباء ، أو أى فرد من ذوى المهنة الطبية . وقد وضعت النقابات الطبية آدابا لسلوك الأطباء فيما بينهم ، مسترشدين بما تعارف عليه الناس فيما سموه الخلق الحسن ،ومسترشدين بالعرف والتقاليد والتجارب التي مرت عليهم وعلى اسلافهم .

ومن هذه التعليمات ما يتعلق بالمهنة نفسها فى زيارة الطبيب لزميله ومعالجته وذويه ، وكيفية استشارة احدهم الآخر ، واسلوب المراسلة بينهم ، واحالة المريض الى ذوى الاختصاص أو المحللين ، وكل ذلك مدون فى تعاليم النقابات .. بل قد أوجبت بعض النقابات لحماية المهنة ومنع الاساءة أن يخبر الطبيب عن زميله الغاش للمرضى أو المسيء للمهنة (بأى شكل من أشكال الاساءة) كما جاء ذلك فى المادة الرابعة من الآداب الطبية لنقابة الأطباء الامريكان (١) .

والطبيب المسلم قد جاءه (من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من أتبع رضوانه) .. فهو غنى عن أن يتكفف

* سبق أن نشرنا المقال الأول فى العدد الرابع .

(١) (A.M.A Code) السلوك الطبي لنقابة ذوى المهن الطبية الامريكية .

القوانين الوضعية ، اذ جاءته الشريعة الاسلامية باحسن أدب ورد فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة .. فهو ان فتح عيادته يزور زملاءه وجيرانه ، ويعاملهم أفضل معاملة ، يزورهم فيستفيد من خبرتهم فى المنطقة ، ويسترشد بنصحهم وفى الوقت نفسه يكون قد أظهر حسن نيته تجاههم . وهو يعلم أن نبيه الكريم قد أوصى بالجار حتى قال عليه السلام (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (١) .

ولعل من المشاكل التي تعترض العلاقة بين الأطباء ، المنافسة على المرضى ، والسعى للحصول على المال .. فاذا كانت الجاهلية قد جعلته غاية ، وبررت الوسيلة اليه ، فالاسلام قد حل المشكلة من أساسها ، فمع اعتراف الاسلام بغريزة التملك الا أنه هذبها ، كما فعل بكل الغرائز فى البشر ... فالمال فى الاسلام هو مال الله ، وانما يكون الانسان مستخلفا فيه ، ومحاسبا عليه من أين أكتسبه وفيم أنفقه . ولذلك فلن يكون المال عند المسلم غاية أبدا ، بل وسيلة لحياة طيبة للمسلم ولبذله أرضاء لله ، ونشرا لعقيدته ، واذا لا يكون المسلم حسودا شرها فى جمع المال . والله تبارك وتعالى يقول (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله (٢) والله تعالى يقول أيضا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) فالسعادة عند المسلم لا بالمال وكثرة العرض بل بالعمل لرضاء الله .. وهكذا يعيش المسلم مع زملائه فى اخوة صادقة ، وقد أقر الله فى القرآن الكريم ثلاثة أنواع من الاخوة فلا بد أن يكون زميله مهما كان دينه وجنسيته أحد هؤلاء الاخوة .. فالاخوة الأولى هي اخوة الدين وشروطها ثلاثة التوبة من الشرك واقام الصلاة وايتاء الزكاة . قال تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) (٤) والاخوة الثانية هي اخوة القبيلة والجنسية واللغة ولا يشترط فيها نفس الدين قال تعالى (والى عاد اخاهم هودا .. والى ثمود اخاهم صالحا .. الآية) (٥) وفى عاد وثمود وغيرهم المؤمن والكافر . واما الاخوة الثالثة فهي اخوة الانسانية قال تعالى (ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وأن تخالطوهم فاخوانكم) فاليتيم مثل من امثلة الاخوة الانسانية ولم يشترط فيه جنسية ولا دين متشابه ..

ويكفى فخرا أن يسمع الطبيب المسلم قول نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٦) .

ولا بد من كلمة حول الشركة بين الأطباء فارى أن يدون كل شيء بصورة مفصلة : الأمور المالية والفنية والادارية ولا يعتمد الاطباء علىالذاكرة أو الصداقة أو المودة بينهم فقد قال الله تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) (٧) . واذكر الطبيب المسلم بأن الله مع الشريك الامين المخلص ، قال النبى صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخارى وفى الباب عشرات الاحاديث كما ورد فى القرآن الكريم آيات توصي بالجار ،
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة الحشر .
(٤) سورة التوبة .
(٥) سورة هود .
(٦) أخرجه البخارى ومسلم .
(٧) سورة البقرة .

وسلم (أنا ثالث الشريكين ما لم يخن احدهما صاحبه فاذا خانه خرجت من بينهما) أخرجه ابو داود عن ابى هريرة .

ومثل الطبيب الصيدلي وغيره من ذوى المهن الطبية يجب أن يلتزم الطبيب المسلم معهم الآداب الطبية والاخلاق العامة فمثلا لا يجوز أن يكون هناك أى اتفاق بين طبيب وصيدلى بصورة سرية على حساب المريض أو على حساب الأدب المهنى .. (١) .

سر المهنة

لعل من أهم ما يجب أن يتصف به الطبيب المحافظة على أسرار مرضاه ، وربما كانت هذه الصفة من أبرز الصفات التي يجب أن تتوفر بين الطبيب ومريضه .. ولكن هناك حالات يجوز للطبيب أن يذيع فيها هذا السر ، أو ربما يكون ملزما ، كالاخبار عن الامراض المعدية ، وحالات الولادة والوفاة ، والاخبار عن المواد المخدرة التي تصرف لمريض ما ، والشهادة امام المحاكم ، والتقارير التي تعطى لدوائر التأمين وللشركات والدوائر الرسمية ، وكذلك الأخبار عن الجرائم ، والاخبار عن المرضى لحماية الناس ، ولا سبيل هنا لتفصيل كل منها . ولكن أبين ما أعتقده الرأى الاسلامي فيها .

فأى قانون او تعليمات تصدرها الدولة وترى فيها مصلحة الأمة ، تعتبر مقبولة فى الشرع الاسلامي ، ما لم تعارض النص من الكتاب والسنة . فالطبيب اذاً يخبر عن المريض المعدى بقدر ما يمنع خطره ، ويحفظ صحة الآخرين ، ولا يزيد على ذلك أى أن القاعدة حفظ السر ، وخرقها يكون بقدر ما تقتضيه الضرورة ، فاذا جاوز ذلك صار مسيئا — على ما أرى — اذ قد يظن به التشهير بالمريض والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالستر فقال (ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) (٢) .

وأمام المحاكم يذكر الاسلام الطبيب بقول الله عز وجل (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) (٣) فاذاً لا تتكلم أيها الطبيب بكلمة الا أن تكون واثقا تمام الوثوق من صحتها ، فان نجوت من المحاكم فلن تنجو من الله القائل (اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) (٤) .

وعلى الطبيب أن لا يتكلم امام المحاكم والمحقق بأكثر مما يسأل ، ويختار الكلمات اللائقة التي تفى بالغرض (كناية أو مجازا) وهذا هو أدب القرآن الذى يجب أن يكون خلق كل مسلم . وعلى الطبيب أن يختار الكلمات السهلة المفهومة ، ولا يلجأ الى الكلمات المبهمة والمصطلحات الطبية التي لا يفهمها الا الطبيب .

ومن حق الطبيب أن يخبر عن الجرائم ، وأرى أن الاسلام يعتبر ذلك واجبا . فمثلا اذا أصيب شخص بجرح وجىء به الى الطبيب فعليه أن يعالجه فورا ، ويخبر الشرطة بذلك . فلعل أن يكون هذا المجروح قد قتل نفسا وهو يريد اخفاء جريمته .. والله تبارك وتعالى يقول (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) (٥) وقد يغرى الطبيب بالمال

---

(١) من اراد المفصل عن ذلك فعليه مراجعة 1) Hadfied Lau & Ethics For doctors.
2) Remington - Praetice of Farmact.

(٢) اخرجه مسلم ، لا اعتقد أن ذكر كلمة مسلم تعنى جواز فضح او التشهير بغير المسلم فى مثل هذه الاحوال .

(٣) سورة الاسراء .

(٤) سورة النور وفى هذا المعنى احاديث كثيرة منها (وهل يكب الناس على وجوههم الا حصائد السنتهم) .

(٥) سورة البقرة .

لاخفاء الجريمة او يهدد . فليتصرف تصرف حكمة ولا يضيع حق الناس أو الحق العام ..

وقد يضطر الطبيب الى افشاء السر للمصلحة العامة . ومثال ذلك اذا عرف مصابا بالصرع يقود سيارة اذ قد تصيبه النوبة (اثناء قيادته فيسبب ضررا للآخرين) والفقهاء والمسلمون قد قرروا تفضيل درء المفسدة على جلب المنفعة .

وقد يطلع الطبيب على مرض معد فى خادم أو مربية فهل يخبر الذين تعيش معهم هذه المربية ليحفظ الطفل ؟ .. أرى أن يلجأ للمريض (١) نفسه فيقنعه بالمعالجة ، ويخبره بصراحة عن مرضه ، وعما يجب أن يفعله لوقاية من حوله ، فان لم يقتنع لجأ الى افهام العائلة بصورة غير مباشرة مثلا باجراء الفحص الطبى عليهم جميعا مع المربية حتى يكشف الامر من قبلهم (! !) ، أو اذا اطلع الطبيب على مريض يمتنع الزواج مع مرضه فليقنعه أولا بالعدول والمعالجة قبل أن يلجأ الى ذوى الفتاة ، واذا اضطر الى ذلك فلا أرى أن الاسلام يجيز له أن يخبر ذوى الفتاة مباشرة بافشاء سر المريض بل عليه أن يصرف ذوى الفتاة بصورة غير مباشرة وعن طريق شخص ثالث ، فالقاعدة الفقهية (لا ضرر ولا ضرار) (٢) ، والواجب على المسلم أن يستر على أخيه كما ذكرت قبلا على أساس الا يكون فى الستر ضرر على الآخرين وقد سألت بعض العلماء فى العالم الاسلامي والبلاد العربية فكان جواب معظمهم أنه لا يحق للطبيب المسلم افشاء سر المريض تبرعا فاذا سئل فليحاول أن يؤدى المطلوب بحكمة ويبتعد عن الافشاء بقدر المستطاع .

وأرى أن الرأى الاسلامي يوجب على الطبيب افشاء سر المريض اذا كان فى كتمان ذلك ادانة برىء أو افلات مجرم ..

أجرة الطبيب

لا أرى ان الاسلام يتدخل كثيرا فى اجرة الطبيب فالامر عرفى ، على أن الانصاف مطلوب من المسلم ، كما أنه لا بد من مراعاة الفقير ومعالجته مجانا ، ولعل هذه المعالجة المجانية قد ادخلها الاسلام فيما يمكن أن نسميه زكاة النفس ، اذ أرى أن على المسلم زكاة فى علمه يعلمه للناس متمثلا أمر الله عز وجل القائل (واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) (٣) ومقتديا بالرسل الكرام حيث قال الله على لسانهم (وما أسألكم عليه من أجر ان اجرى الا على رب العالمين) (٤) .

فأرى أن على الطبيب المسلم زكاة فى علمه وجسمه ومن الواجب عليه ان يعالج الفقراء مجانا وهذا حقهم عليه ، وليس لهذه الزكاة نصاب كزكاة المال . وبقدر ما ينفق الطبيب المسلم من وقته وعلمه وماله وجاهه للفقراء فان الله يخلفه اضعافا مضاعفة فلا يمن على أحد بذلك ابدا .. قال تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (٥) .

الاسلام وبعض اعمال الطبيب

١) الاجهاض :

الاجهاض أو الاسقاط وهو عملية تفريغ محتويات الرحم .. وهو نوعان :

(١) نخالف الدكتور فى رأيه اذ يجب على الطبيب أن يعمل على عزل المربية فى الحال وعلاجها وقاية للأسرة كلها . «الوعى» .

(٢) ورد ذلك بحديث اخرجه ابن ماجة عن ابى سعيد الخدرى وغيره من طرق اخرى يقوى بعضها بعضا .

(٣) سورة آل عمران .

(٤) سورة الشعراء .

(٥) سورة سبأ .

الاســـعافى والجنائـــي . فالاســـقاط الاسـعافى لانقاذ حيـاة الأم ، أو لأيـة ضرورة طبية يقررها الأطباء المختصون مقبـول فى الاســلام ، على قاعدة اتباع أهون الضررين ، أو قاعدة ارتكاب مفسدة لدرء مفسدة أكبر .

وأما الاسقاط الجنائي فلأسـباب لا تتعلق بصحة الأم كحالة حمل السفاح ، أو لتحديد النسل ، أو لقضايا اقتصادية فهذا غير جائز أبدا ، ولا يجوز للطبيب المسلم أن يجرى هذه العملية فان فعل فقد ارتكب جريمـة قتـل الوليد ... قال تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحـق) (١) وقد اجـاز بعض العلماء الاجهاض قبل الشـهر الرابـع وحجتهم الحديث الشريف الذى أخرجه مسلم (ان احدكم يخلق فى بطـن أمـه أربعون يوما نطفة .. الى قوله ثم ينفخ فيه الروح) اذ يقولون أن الجنين لـم ينفخ الروح بعد فيه . لكن الحقيقة أن الروح توجد فيه من أول دقيقة . ولكن الروح التي يقصدها النبي صلى اللـه عليه وسلم هي الحركة التي تشعر بها الأم (٢) .

التلقيح الصناعي

هو عملية ادخال مادة الذكر (المنى) فى رحـم الانثى ، وهو اما أن يكون بادخال مادة الـزوج نفسه الى زوجته بصورة صناعية ، لتعذر الحمل بصورة طبيعية وذلك امر لا يعارض فيه الاسلام .

والنوع الثاني : هو ادخال مادة رجل معين الى امرأة غير زوجتـه ، وذلك حرام . ويكون الطبيب مجرما ان اجرى مثل هذه العملية .

اما النوع الثالث فهو جمع (المنى) من مختلف الرجال فى مصرف ويعطى للمـرأة التي تريد أن تحمل (بطريقة صناعية) فهذا النوع حرام أيضا فى الاسلام ، اذ يكون فى النوعين الآخرين اختلاط الانساب مع انـه مســموح به عند الــرومان الكاثوليك (٣) .

قال النبى صلى الله عليه وسلم (من انتسب الى غير ابيه او انتسب الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) (٤) .

التجميل الصناعي

لا أرى أن الاسلام يمنع الطبيب من اجراء أية عملية لتجميل المرأة أو حتى الرجل ان لم يكن فى تلك العملية خرق لصفات المرأة الانثوية أو صفات الرجل .. ولا أعني أن الاسلام يحرم العمليات التي فيها ينقلب الرجل الى امرأة ، كما نقرأ ونسمع ظاهرا ، فمثل هذه العمليات ليست عملية تحويل كما يظنها البعض ، بل ان الرجل الذى اجريت له العمليـة فصار انثى هو فى الحقيقـة انثـى ، وقد تشوهت بعض الاعضاء فاقتضى لها شيء من التدخل الجراحي .

وفى الأحاديث الشريفة ما يمنع القيام ببعض اعمال التجميل للمرأة مما لا يكون من عمـل الطبيب فى الغالب كالواصـلة والواشمة .. الخ .. حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك (١) .

أما عمليات ترقيـع القرنية ونقـل الكلية من انسان لآخر وغير ذلك فهى من العمليات التي فيها انقاذ الانسـان من العمى أو الموت فلا يمكن أن يعارض فيها الاسلام .

---

(١) سورة الاسراء .

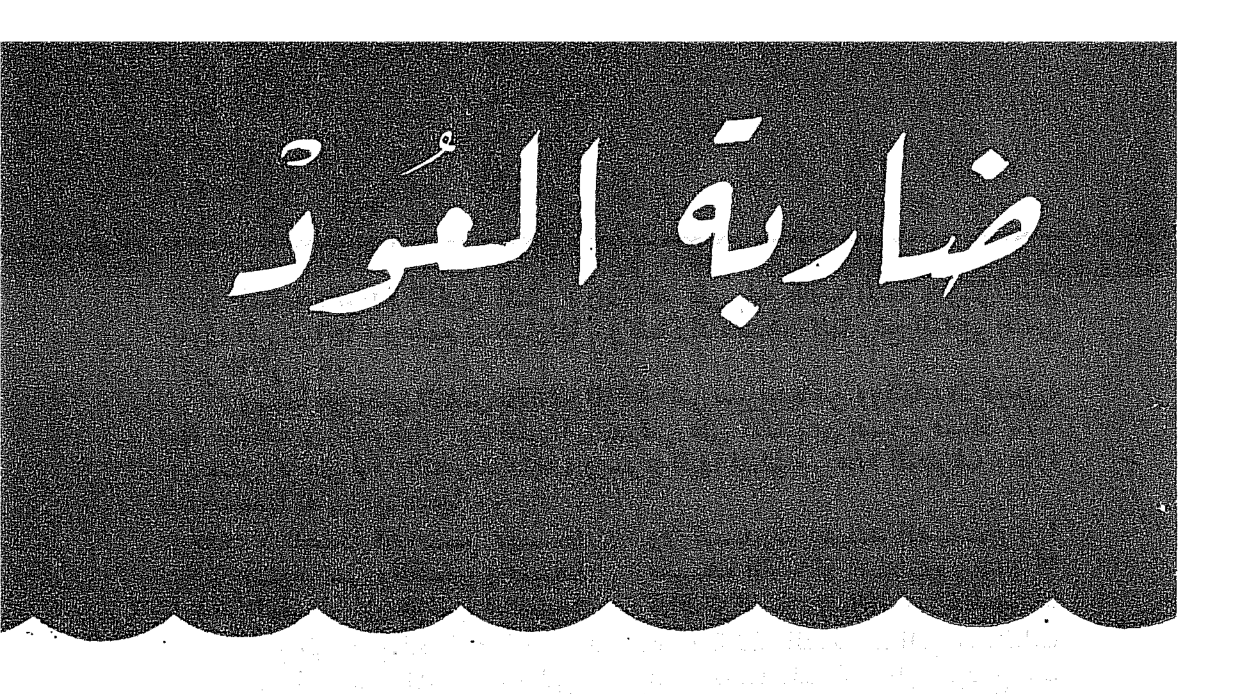
(٢) راجع كتاب الاسلام والتربية الجنسية (الدكتور وجيه زين العابدين) .

(٣) راجع كتاب (Hadfield Ethics for Doctors). ص ١٩٩ ـ ٢٠١ .

(٤) اخرجه ابن حيان .

(٥) ورد بذلك عدة أحاديث اخرجها البخاري ومسلم وغيرهما .


قصّة
السيدة
هداية سلطان السالم



المكان .. سوق الرقيق فى بغداد ....

والزمان .. يوم كانت بغداد حاضرة الدنيا ومحط أنظار العالم كله .. يوم بلغ فيها الترف أقصى مداه والفن ارقى مستوياته ، وفتن معظم الناس بالدنيا فأقبلوا عليها يغترفون من ملذاتها ، ويعبون من متعها ، وقد نسوا آخرتهم ، وظنوا أن الحياة الدنيا هى الحياة ، ولا حياة لهم بعدها .

والبطلة .. جارية بارعة الجمال ، فاتنة الملامح ، عذبة الصوت ، خارقة الذكاء ، بالغة الحياء ، وديعة هادئة تقف مستسلمة للامر الواقع الذى أراده لها القدر ، والتجار يروحون ويجيئون من حولها ، يتفحصونها بنظراتهم ، ويسألون عن ثمنها ، فاذا ما عرفوه شهقوا فى دهشة ، وتراجعوا فى عجز ، وتقدم غيرهم ليسال من جديد ...

ويتقدم اسماعيل البصرى تاجر الرقيق الثرى .. يتأمل الجارية بعين الخبير المتمكن من فنه ، ثم يطلب أن يسمع صوتها ، ويسأل عما خفى من صفاتها .. ثم يدفع العشرين ألفا التى حددت ثمنا لها ويعود بها الى بيته ...

حقا أنه لم يدفع نصف هذا المبلغ ثمنا لجارية من قبل ، ولكنه ـ وهو الخبير المحنك ـ قد أدرك من اللحظة الاولى أن هذه الجارية ستكون أنفس درة فى عقد جواهره وأنه سيبيعها بأغلى ثمن لذوى الجاه والسلطان .

ويطلق عليها اسماعيل اسم تحفة ، ثم يستقدم لها أساتذة العزف والغناء والشعر والادب فى ذلك الحين ، ولا يدخر وسعا أو جهدا فى سبيل تعليمها واعدادها ، حتى تبرع تحفة فى الغناءوحفظ الاشعار ورواية النوادر والفكاهات والطرف ، وتتقن ضرب العود ويصبح لها فى هذا الفن مكانة خاصة يشهد بها الجميع ، وينتهى الأمر بهم الى تسميتها بضاربة العود ..

ويسر التاجر بهذا النضج السريع فى مجال الفنون كلها ، ويزداد سروره عندما يجد أنها لا تميل الى الخلاعة والتبرج ، كغيرها من الجوارى ، ولا تحاول اتخاذ الأحبة من الرجال كما يفعلن ، ولا يلبث أن يقوم بحملة واسعة من الدعاية

لهذه السلعة الفريدة النادرة المثال ، ويتوافد على بابه طلاب المتعة ، وكل منهم يتوق الى شرائها ، ويطمع فى حيازتها ، وكلما زاد عددهم كلما رفع التاجر الثمن أكثر فأكثر ...

وبينما هو يمنى النفس بالآلاف المؤلفة التي سيربحها من ورائها ، اذ فوجىء بها تعتكف فى حجرتها ، وترفض أن تعرض على المشترين صباح مساء ... ويدهش الرجل لهذا التصرف منها ، ويسرع اليها ليعلم سر هذا التصرف ، فاذا به يسمعها تغنى من نظمها ...

وحقك لا نقضت الدهـــر عهـــدا ولا كـــدرت بعـــد الصـــفو ودا
ملأت جـوانحـى والقلـب وجـــدا فكيـــف الذ ، أو أســـلو وأهدا ؟؟
فيا من ليس لـــى مولـــى ســـواه أراك تركتنـــى فى النـاس عبـــدا

فرح الرجل بهذه الموهبة الجديدة ــ موهبة نظم الشعر ــ التى ستضاف الى مجموعة مواهبها الأخرى ، والتى ستزيد من ثمنها بطبيعة الحال ، ودفع باب حجرتها ، ودخل اليها مهنئا ، ولكنه فوجىء بها تقذف بالعود بعيدا ، ثم تنفجر باكية فى حرارة .. وظن الرجل أنها قد وقعت فى الحب ، وأنها تبكى لذلك ، وتمنى لو أن هذا الذى أحبته كان من أصحاب الشأن والثراء ، ليستطيع أن يساومه مستغلا عاطفته ، ويحصل منه على أكبر قدر من المال ..

وتقدم اسماعيل منها ، وسألها عن اسم الحبيب الذى كانت تغنى له، ولكنها لم تجب ، فكرر السؤال دون جدوى ، فخرج من حجرتها ، واختلى بنفســه يفكر فى الأمر ، وهداه التفكير الى ضرورة مراقبتها مراقبة دقيقة ليعرف مــن هو ذلــك الحبيب ..

واستمرت المراقبة شهورا دون أن يعرف شيئا .. بل أنها لم تتصل خلال هذه الفترة باحد من الرجال ولا النساء وكانت تلازم حجرتها ليل نهار ، وكلمااطل عليها من خلال الخصاص وجدها تصلى وتتعبد وتنشد الاشعار ولاحظ الرجل أن وجهها قد بدأ يشحب وأن جسدها قد أخذ يذبل ، ففزع لذلك أشد الفزع وصمم على انقاذ ما يمكن انقاذه من هذه الصفقة التى بذل فيها الكثير وتوشك الآن على الخسارة الفادحة .. ودخل اليها ، وطلب اليها فى حزم أن تخبره عن سر شحوبها ونحولها وتغيرها، وعن اسم ذلك الذى خلب لبها وصيرها الى هذه الحال فنظرت اليه نظرة مليئة بالسخرية العميقة وقالت ..

خـاطبنى الحق مـــن جنانـــى فكـــان وعظـــى عـــلى لســـانى
قـربنى مـــنه بعـــد بعـــد وخصنـــى اللـــه وأصطفانـــى
أجبت لمـــا دعيـــت طـوعـــا ملبيـــا للـــذى دعانـــى
وخفـت ممـــا جنيـــت قدمـــا فـــأوقـع الحب بالايمـــــان

وكان طبيعيا الا يفهم التاجر من القول شيئا .. فأين هو وأين هى ؟ انه فى عالم وهى فى عالم آخر وشتان ما بين العالمين ...

وظن أن بها مسا من الجنون أو الاختلال العقلى ، فراح يستقدم لها الاطباء والمعالجين .. وحاول هؤلاء أن يعرفوا شيئا عن سبب علتها وما تعانيه دون جدوى ، فأشاروا على الرجل أن ينقلها الى مصحة عقلية لعلها تشفى ، فيعود اليه ماله الذى أنفقه فى شرائها وتعليمها ..

ونقلها الرجل على الفور الى المصحة الموجودة حينذاك وجاء الممرضون يقيدونها بالسلاسل الحديدية ـ كما كانت العادة فى ذلك الحين ـ فنظرت الى السلاسل ، والى القساة الواقفين من حولها ، ثم رفعت رأسها الى السماء وقالت .

أعيذك أن تغل يدى ... بغير جريمة سبقت
تغل يدى الى عنقى ... وما خانت وما سرقت
وبين جوانحى كبد ... أحس بها قد احترقت
فلو قطعتها قطعا ... وحقك عنك ما رجعت

وكان التاجر يزورها كل يوم وفى نفسه أمل .. ولكن أمله بدأ يذبل ويذوى، كلما تقدمت الايام ، فقد ظلت على حالها ، واستمرأت حياة الحبس والسلاسل الحديدية ...

وزار المستشفى يوما رجل من أهل التصوف هو « السرى السقطى » ورآها وسط المجانين ، فشك فى أمر جنونها ، واقترب منها يريد أن يحدثها فأستقبلته قائلة ...

معشر الناس ما جننت ولكن ... انا سكرانة وقلبى صاح
أغللتم يدى ولم آت ذنبا ... غير جهدى فى حبه وافتضاحى
انا مفتونة بحب حبيب ... لست أبغى عن بابه من براح
فصلاحى الذى زعمتم فسادى ... وفسادى الذى زعمتم صلاحى
ما على من أحب مولى الموالى ... وارتضاه لنفسه من جناح

هنا تأكد لدى السرى أنها ليست مجنونة وانما هى اسيرة الحب الاعظم .. الحب الطهور .. حب العلى القدير جل جلاله .. فاهتزت نفسه روعة ،وانحدرت الدموع فى صمت على وجهه ، فعجبت هى لبكائه وسألته عن سببه فقال ..

ـ أهجت شجنى وحركت حزنى ولا يعرف الشوق الا من يكابده ...

ـ (فهتفت) يا هذا لقد بكيت من الصفة ، فيكف لو عرفته حق المعرفة (ثم انشدت) .

ألبستني ثوب وصل طاب ملبسه ... فأنت مولى الورى ومولائى
كانت بقلبى أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
من غص داوى بشرب الماء غصته ... فكيف يصنع من قد غص بالماء
قلبى حزين على ما فات من زللى ... والنفس فى جسدى من أعظم الداء
والشوق فى خاطرى منى وفى كبدى ... والحب منى مصون فى سويداء
اليك منك قصدت الباب معتذرا ... وانت تعلم ما ضمنته احشائى

وما أتمت هذه الابيات حتى دخل سيدها ، فلما رأى السرى ـ وكان يعرف مكانته ـ عظمه وقدره وأضفى عليه الكثير من عبارات الاحترام فقال له السرى :

ـ هى والله أولى بهذا التعظيم منى ...

فاستبعد صاحبها ذلك وراح يعدد للسرى ما عاناه منها فقال له السرى :

ـ على الثمن يا هذا وأزيدك أن شئت عليه ...

ـ (فصاح الرجل) هى على بعشرين ألفا وانفقت عليها مثلها ...



ــ (فقال السرى) قبلت .. ابق هنا حتى أرجع اليك بالمبلغ ...

ــ فصرخ الرجل وافقراه ان كان السرى يملك مثل هذا المبلغ ...

وانطلق السرى الى أحمد بن المثنى دامع العين فروى له القصة ، وطلب منه المبلغ فدفعه له على الفور فعاد الى التاجر ودفعه له بدوره وأعتقها .. فأنشدت ...

هربت منه اليه　　بكيت منه عليه
وحقه هو مولى　　ما زلت بين يديه
حتى أنال وأحظى　　بما رجوت لديه

وانطلقت تحفة هائمة فى رحاب الله وحتى وصلت مكة فعاشت الى جوار الكعبة ، وكانت تتعجل المنية بأشعار فى منتهى الصدق والرقة ...

محب الله فى الدنيا سقيم　　تطاول سقمه فدواه داه (١)
سقاه من محبته بكأس　　فأرواه المهيمن اذ سقاه
فهام بحبه وسما اليه　　فليس يريد محبوبا سواه
كذاك من ادعى شوقا اليه　　يهيم بحبه حتى يراه

وقد ظلت هذه حالها ، حتى توفاها الله فى جوار بيته الحرام ، وحقق لها الله سبحانه ما كانت تتمناه وتهتف به أنها هربت منه اليه مشوقة الى نيل ما كانت ترجوه لديه .

---

(١) دواؤه هو داؤه . تشير الى أن حبها فى الله أسقمها ومن الله تستمد الدواء والشفاء .

بقية : الجنة والنار
أو الثواب والعقاب

يتأثر بها ، حتى ليسير بسرعة تفوق سرعة الصوت مرات ومرات ، فلا يكاد يحس أنه يتحرك ، وليس ذلك كله سوى المقدمة ، لما سوف يتكشف عنه عصر الفضاء ، بعد أن يهبط الانسان على القمر ، ثم يثب من القمر الى الكواكب الاخرى ، ويرى نفسه من جديد وقد تحول هو وكوكبه الارضى الى مجرد ذرة .... ذرة فى هذا الوجود اللانهائي .

وآخر ما وافتنا به الانباء ، ان مؤتمرا انعقد من علماء الروس والامريكان ، للبحث فى شئون الحياة والحضارات الاخرى التى لا بد موجودة فى الفضاء الخارجى ، وكيف يمكن الاتصال بها ، ويعنينا من ذلك كله ، ان المعتقدات الانسانية ، والاديان السماوية ، لم تكن وهى تنظر الى السماء ، وهى تحدثنا عن حياة اكمل وافضل فى السماء ، وهى تدعو الانسان ابدا للتطلع صوب السماء، لم تكن واهمة ولا هي مخرفة ، كما تخرص المتخرصون ، وانما كانت تنطق بالحق ، وتكشف عن اسرار الوجود .

ويكون العلم الحديث التجريبى التطبيقي ، قد قربنا من مفهومات الاديان ولم يبعدها عنا ، وقد قوى العقيدة فى الجنة والنار ولم يضعفها .

الخلاصة

وهكذا يخلص لنا من كل ما قدمناه من مقالاتنا حتى الآن .

ـ ان هذا الكون لا يمكن الا ان يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

ـ وانه قد اوحى لنفر من البشر ، ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس بالخير والشر والخطأ من الصواب .

ـ وأن هؤلاء الرسل الصادقين الامناء، قد قالوا لنا ان سيكون بعث وستكون جنة ونار ، فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ـ وان ليس فى كل ما دعا له الرسل من الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ، ما يتصادم فى جوهره مع منطق العقل ، او حقائق العلم .

ويصبح السؤال الآن ، اى هؤلاء الرسل نتبع ، فالعالم يغص بعشرات بل مئات من الاديان والمعتقدات ، وعلى رأسها ثلاثة أو اربعة ممن يتجاوز عدد معتنقيها مئات الملايين ؟

والرد على هذا السؤال يحتاج الى مقال آخر بل عدة مقالات .

حكمة

قال ابو عمرو بن العلاء « كن من الكريم على حذر اذا أهنته ، ومن اللئيم اذا اكرمته ، ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا رحمته » .

● ● ●

● سئلت رابعة العدوية :

كيف بلغت هذه المرتبة العالية فى الحياة الروحية ؟

فأجابت : بقولي دائما .

« اللهم اني اعوذ بك من كل ما يشغلني عنك ، ومن كل حال يحول بيني وبينك » .



يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

اجارة الوقف

السؤال :

أولا : أوقف رجل بيتا لعمل خيرات تصرف في أضحية ونوافل يعني عشاء للفقراء في المناسبات الدينية صدقة له ولوالديه ولابنه .

ثم توفى الواقف ، وخلفه ابنه ، واتفق مع شخص وأجره البيت وتوابعه مائة وعشرين سنة بمبلغ عشرة ريالات فرنسية سنويا تدفع نقدا أول كل سنة .

ثانيا : أوقفت امرأة بيتا لنفس الغرض وبعد وفاتها استأجره شخص لمدة ثلاثين سنة كل سنة بريالين ، وانتهت المدة واستأجره لمدة أربعين سنة بمائة ريال سنويا وقد مضى منها احدى عشرة سنة . وبعد عشرات السنين استملك البنيان للصالح العام . فهل يشـــترى بمال بدل كل منهما عين تكون وقفا وتســـلم للمستأجرين على أن يقوم كل منهما بدفع الايجار المتفق عليه حتى تنتهي المدة أم ماذا يفعل معهما وما هي الطريقة الأنفع لمصلحة الوقف . أرجو بيان الحكم الشرعي في ذلك ..

(ح . م ـ الكويت)

الاجابة :

بعد الاطلاع على ورقةعرفيةصادرةمن الواقف مصدرة بالكلمات الآتية (صورة وصية ..) تضمنت أن البيت الموقوف بشمال بريده ضحية الدوام له ولوالديه ولابنه وان البيت والجو وقف الخ .. ما جاء بالورقة ، وبعد الاطلاع على ورقة صادرة من الواقفة مصدرة بما يأتي (صورة وصية) تضمنت أن الدار الشمالية التي انتقلت الى الواقفة من أبيها وقف لله تصرف في أعمال بر وضحايا وعشاء الخ . وقد تبين من الاطلاع على هاتين الورقتين أنه لم يذكر فيهما شيء عن مدة التأجير ، وبالرجوع الى ما كتبه الفقهاء في المسائل التي تتعلق بمدة الاجارة نجد أنه :

ورد في مجلة الاحكام العدلية : ((لا يجوز اجارة مال الوقف واليتيم وأراضي بيت المال لاكثر من ثلاث سنين في الضياع ولأكثر من سنة في غيرها كالدار والحانوت صيانة للوقف ومال اليتيم من دعوى الملكية بطول المدة وهو المختار للفتوى ـ فلو أجر المتولي أو الوصي الى أكثر من ذلك لم تصح الاجارة وتفسخ في كل المدة لأن العقد اذا فسد في بعضه فسد في كله ولا فرق في مال اليتيم ان اجره أبوه أو وصيه . أما في الوقف فيفرق بين الواقف والمتولي لأن للأول التأجير لأية مدة أراد ، ولو شرط الواقف اجارة مدة معينة روعي شرطه لأن شرط الواقف كنص الشارع وان لم يشترط الاجارة مدة معينة وكانت عمارة الوقف لا تحصل الا بالاجارة المدة الطويلة فيرفع الأمر الى الحاكم ليصرح بما فيه المصلحة .

وورد في الفتاوى الانقرية : وانما لم تجز أجارة الوقف المدة الطويلة كيلا يؤدى ذلك الى ابطال الوقف لأن المستأجر يتصرف في العين تصرف الملاك ومتى أنكر الوقف يشهد له الناس بالملك . قال الصدر الشهيد في واقعاته : والمختار انه يفتى في الضياع بالجواز في ثـلاث سنين الا اذا كانت المصلحـة في عدمه وفي غير الضياع بعدم الجواز فيما زاد على السنة .

وورد في الفتاوى الخانية : اذا كان الواقف لم يشرط مدة لاجارة وقفه وأجرت عين الوقف لأكثر من ثلاث سنين . قال مشايخ بلخ لا يجوز اجارة الوقف أكثر من ثلاث سنين وقال الفقيه أبو الليث يرفع الأمر الى القاضي حتى يبطله وذهب المالكية الى أنه في الوقف لا يصح تأجير الدور ونحوها أكثر من سنة واذا تهدم الوقف وليس له ريع يبنى منه فانه يصح للناظر أن يؤجر مدة طويلة ويأخذ الأجرة ليبنى بها ولو طال الزمن كأربعين عاما ، وذهب الحنابلة الى أن الواقف اذا لم يشترط ناظرا للوقف يكون المستحق هو الناظر .

ولو أجر الوقف تبطل بموته واذا كان المستأجر يدفع مقدما فان دفعه يؤخذ من تركة المؤجر . أما اذاكان المؤجر ناظرا بشرط الواقف فان الاجارة لا تفسخ بموته ويشترط ان تكون مدة الاجارة معلومة وان طالت كما يشترط أن يغلب على الظن بقاء العين سليمة مدة الاجارة وان طالت .

وبما أن الواقفين لم يشرطا فى وقفهما مدة معينة للاجارة وان المستأجرين لم يدفعا الأجرة عن مدة الاجارة الباقية بل عقد الايجار يدل على أن تدفع الأجرة مقدما سنويا . وقد استملك الوقفان للصالح العام وخرجا من يد المتولى عليهما .

وبناء على هذا نفتى بأنه لا حق للمستأجرين فى المطالبة بشىء ما دامت العين الموقوفة غير باقية واستملكت للصالح العام ولم يدفعا أجرة مقدما فضلا عن ان الاجارة فاسدة من أصلها على المفتى به ، ويطالبان بالفرق عما مضى ان كان التأجير بأقل من أجر المثل ، ويشترى عين للوقف بمال البدل لتنفيذ شروط الواقفين على أن تؤجر بأجر المثل فى حدود المدة الجائزة شرعا .

أرث المحرض على القتل

السؤال :

شخص قتل والدة زوجته وهى عمته بتحريض من والده شقيقها . وتركت القتيلة بنتا وأخوين شقيقين أحدهما والد القاتل المحرض لابنه على قتلها فكيف توزع التركة ؟ . وهل تبقى زوجته بنت عمته المقتولة فى بيته ؟ .

(ابراهيم أ . أ ـ الشارقة)

الاجابة :

اتفق الأئمة الأربعة وجمهور المجتهدين من المسلمين على أن القتل من موانع الارث لقوله عليه الصلاة والسلام « ليس للقاتل ميراث » ولكنهم اختلفوا فى نوع القتل المانع من الارث فعند أبى حنيفة ليس كل قتل مانعا ، ويقسم القتل الى خمسة أنواع عمد . وشبه عمد . وخطأ . وشبه خطأ . وقتل بتسبب ويرى أن القتل الذى يمنع من الارث هو الذى يتعلق به حكم القصاص أو الكفارة وهي الأربعة الأول . أما الأخير وهو القتل بتسبب كما اذا حفر بئرا فوقع مورثه فيها فمات وموجبه الدية فلا يحرم من الارث لأنه جعل علة المنع هى مباشرته القتل عمدا أو خطأ دون التسبب فيه .

وعند الامام مالك ينقسم القتل الى عمد ، وخطأ ، ولاواسطة بينهما لأن الوارث اذا قصد قتل مورثه فهو العامد وان لم يقصده فهو المخطىء .

وسوى بين المباشرة للقتل والتسبب فيه ويرى أن القتل العمد هو الذى يحرم من الارث دون الخطأ مستندا الى أن لفظ القاتل فى الحديث مطلق فينصرف الى العامد ، وحكمة المنع رد القصد السيء على قاصده والخاطىء لم يقصد سوءا بمورثه ـ والذى نختاره وهو ما ذهب اليه الامام مالك ، والراجح من الشافعي وأحمد : انه اذا ثبت أن الوارث كان قصده بما ارتكبه ازهاق روح مورثه سواء أكان فعله مباشرا للقتل أم متسببا فيه وسواء أكان فاعلا أصليا أو شريكا أو متسببا انه يحرم من الارث .

وبناء على ما سبق يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

للبنت النصف فرضا والباقي وهو النصف للأخ الشقيق تعصيبا وهو الأخ الذى لم يكن سببا فى القتل اما الأخ الذى حرض ابنه على القتل اذا ثبت ذلك فانه يكون محروما من ارثها .

اما الاجابة على الجزء الثانى : ببقاء زوجة القاتل وبنت المقتولة فى المنزل فالأمر هذا مفوض لرأيها فان كانت تستريح فى بقائها فى منزله فليس لأحد أن يجبرها على خلاف ذلك ـ أما اذا ـ كانت تتضرر من ذلك فلها الحق فى أن ترفع أمرها الى الحاكم للتصرف بما يراه ولها حق طلب التطليق للضرر .

حداد الزوجة

السؤال :

اعتاد مسلمو الخليج العربى وعمان منع المتوفي عنها زوجها من الخروج أثناء العدة من منزل المتوفي عنها نهائيا ، ويحرمون عليها التزين باى نوع من أنواع الزينة كالطيب والكحل ولبس غير الأسود والنظر الى أى شخص زاد عن العشر سنوات الا المحارم .

فما حكم الشريعة الاسلامية فى ذلك ؟ .

(محمد عبد الله محمد ــ الكويت)

الاجابة :

لما كان الزواج من أعظم النعم التي يجب أن يستشعر قلب الانسان الحزن لذهابها وجب شرعا أن تحد المرأة على زوجها بالاتفاق ، والاحداد هو ترك الزينة وعدم لبس الحلى والثوب المعطر والملفت للنظر وهذا هو ما يوجبه الخلق الكريم والوفاء للزوج الراحل والحياة الزوجية التي ذهبت ، فالمعتدة من عدة طلاق أو وفاة لا تخرج من بيتها حتى تتم العدة .

وجوز الفقهاء لمعتدة الوفاة الخروج لقضاء حوائجها نهارا بخلاف المعتدة من طلاق سواء كان رجعيا أو بائنا فان عليها أن تلزم بيت الزوجية أثناء العدة ، والسبب فى التفرقة بين العدتين أن المتوفى عنها زوجها تحتاج الى الخروج لقضاء حوائجها بالنهار وتحصيل ما تنفق منه على نفسها ، أو أن الضرورات تبيح المحظورات بخلاف المعتدة من الطلاق ، فان نفقتها على زوجها فلا حاجة بها الى الخروج .

وقد روى الامامان البخارى ومسلم فى وجوب الاحداد على المتوفي عنها زوجها وفى جوازه لمدة ثلاثة أيام فقط ، لوفاة قريب للمرأة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ، الا على زوج فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا)) .

والمقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها صغيرة أو كبيرة من ذوات الحيض أو غيره اذا لم تكن حاملا أربعة أشهر وعشرا ، لقوله تعالى : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا)) أما اذا كانت حاملا : فقد ذهب بعض الفقهاء الى أن عدتها تنقضى بوضع الحمل ولو بعد وفاته بلحظة ، لقوله تعالى : ((وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن)) ، وهذا هو رأى ابن مسعود ومن تبعه من الأئمة الأربعة ، وخالف علي وابن عباس ومن تبعهما فقالوا : ان المتوفى عنها زوجها وهي حامل اذا وضعت حملا قبل انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام ، فان عدتها لا تنقضى بوضع الحمل بل لا بد من انتظار مضى المدة بتمامها ، أما اذا انقضت من أربعة أشهر وعشرة أيام قبل الوضع فان عدتها لا تنقضى الا بوضع الحمل ودليلهم قوله تعالى : ((والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا)) .

ولذلك نفتى بأن المتوفى عنها زوجها يلزمها الاحداد على زوجها لمدة العدة ولا مانع من خروجها نهارا لقضاء حوائجها الضرورية على أن تعود الى البيت فى منزل العدة ، والنظر الى الأجنبى دون قصد لا شيء فيه .

حرمان البنت من الميراث

السؤال :

فوجئت بعد وفاة والدى بانه باع كل ما يملك بيعا صوريا لاخوتى الذكور ولم يكتب لى شيئا ، ومعنى هذا أنه احتال حتى حرمنى من الميراث ، فماذا أفعل وهل هذا التصرف من والدى تجيزه الشريعة الاسلامية .

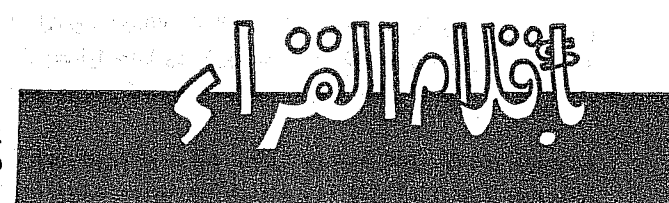
(ع . خ ــ الاردن)

الاجابة :

هذا التصرف من والدك حرام شرعا وكبيرة من الكبائر ، وعليه أثمه ووزره فى الآخرة هذا فضلا عن أن هذا الحرمان الذى قصده والدك أمر يوغر الصدور ، ويمزق الرحم التي أمر الله أن توصل ويفرق بين الأخ وأخته كما حدث فى قصتك .

أما ماذا تفعلين فهذا يرجع الى اخوتك الذين انتقلت اليهم تركة والدك عن طريق البيع الصورى فهذا البيع الصورى فى نظر الشريعة لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا ولا أثر له فى رفع المسئولية أمام الله تعالى ، فان أرادوا أن يبرئوا ذمتهم ويصلوا رحمهم ، ويرضوا الله تعالى فعليهم أن يعطوك نصيبك كاملا من ميراث أبيك ، واذا لم يفعلوا فقد أكلوا فى بطونهم نارا .

واننا نناشد الآباء أن يتقوا الله فى أبنائهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، وأن ينزلوا على حكم الله الذى يقول : ((آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما)) .



يعبرون فيه عن افكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

رسول الله وفرسان ذى قار

تحت هذا العنوان أرسل الأستاذ أحمد عبيد الدعاس المدرس بمدرسة خالد بن الوليد الاعدادية بحمص كلمة ، نقتطف منها ما يلى :

روى عن عبد الله بن كعب بن مالك رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام ثلاث سنين متخفيا ثم أعلن فى الرابعة فدعا عشر سنين يوافى الموسم يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز . وكذلك طلب النبى صلى الله عليه وسلم من عمه العباس لما اشتد أذى المشركين أن يمضى به الى عكاظ ليريه منازل العرب ليدعوهم الى الله تعالى فمضى به الى عكاظ يبشر بدين الله فيتبعه عبد العزى بن عبد المطلب « أبو لهب » فينفر الناس منه .

وانتهى سيد الدعاة يوما الى مجلس عليه السكينة والوقار ، وكان بصحبته ابو بكر وعلى رضى الله عنهما ، وفى المجلس مشايخ لهم أقدار وهيبات، فتقدم أبو بكر رضى الله عنه وسألهم ، ممن القوم ؟ قالوا : نحن بنو شيبان بن ثعلبة . فالتفت الى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من عز فى قومهم ، وكان فى القوم مفروق بن عمرو ، وهانىء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك ، ومفروق أقرب الناس مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال : انا لنزيد على الالف وما غلب الف من قلة . قال : وكيف المنعة فيكم ؟ قال : علينا الجهد . ولكل قوم جد . ثم سأله أبو بكر عن الحرب بينهم وبين عدوهم فقال : انا أشد ما نكون لقاء اذا غضبنا انا نؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله . ثم قدم أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم ثم قام يظلله بردائه .

قال مفروق الى ما تدعو يا أخا قريش ؟ قال : أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني حتى أؤدى عن الله ما أمرنى به .. قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا) (الآية) قال : وما تدعو أيضا فتلا عليهم (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) (الآية) فقال مفروق : دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال . وتكلم هانىء بن قبيصة فذكر أنه سمع مقالة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق بقوله وان من ورائهم قوما لا يحب أن يعقد عليهم عقدا . وانه يعنى فارسا وهى تهيمن على ربوعهم العربية فلا يقطعون أمرا دون مشورتها .

ثم تكلم المثنى بن حارثة الشيبانى ، وكان صاحب المشورة الحربية فى قومه فاثنى على كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، واستحسن ما جاء به لكنه ذكر جواب هانىء صاحب المشورة الدينية فيهم ، فلم يخرج على رأيه ثم عرض على النبى صلى الله عليه وسلم أن يحمى الدعوة الاسلامية مما يلى العرب ، ويقف على الحياد فيما يلى الفرس ، فهل يقبل الرسول عليه الصلاة والسلام عرضه .. كلا وألف كلا .

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى واقع عرب العراق فرأى الاستعمار الفارسى البغيض الجاثم

على صدورهم ، فأراد تحريرهم من نيره الاسود ،وذلك بايمانهم بالله وتوحيده والبيعة على تحطيم الطواغيت . وكان كسرى أخذ عليهم عهدا ألا يحدثوا حدثا ولا يؤووا محدثا ، ولقد اهتم النبى عليه الصلاة والسلام ببنى شيبان لانه أراد أن يرد اليهم حريتهم المسلوبة وخيراتهم المنهوبة فكان له ما أراد .

ولقد كان جواب الرسول العظيم درسا للمسلمين كافة ، فقد انطلق من مبدأ كمال الاسلام ووحدته حين رفض عرضهم لحمايته مما يلى العرب وعدم حمايته مما يلى الفرس ، فقال لهم (انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه) فهو يعرض عليهم الاسلام نظاما وشريعة ودستور حياة فى السلم والحرب، وكأنه صلى الله عليه وسلم يوجه هذا النداء العظيم الى شعوب المسلمين كافة ودولهم عامة أن خذوا الاسلام جملة أو دعوه جملة .

فى ذكرى صاحب المنار

وكتب الينا الاستاذ عبد المنعم البحقيرى المدرس بمدرسة نوسا الغيط ج.ع.م تحت هذا العنوان يقول :

ولد السيد محمد رشيد رضا عام ١٨٥٥ فى القلمون من أعمال طرابلس الشام ، ونشأ نشأة دينية فتعلم فى مدارس البلدة التى ولد بها فى طرابلس ، وقد نظم الشعر وكتب فى بعض الصحف وهو ما زال فى سن الصبا . ولقد رحل الى القاهرة عام ١٣١٥ هجرية واتصل بالاستاذ الامام محمد عبده وكان تلميذا وفيا له ، وأصدر مجلة المنار لنشر آرائه فى الاصلاح الدينى والاجتماعى وكان مرجع الفتوى فى التوفيق بين الشريعة الغراء والاراء العصرية الحديثة ،ولقد زار بلاد الشام عام ١٣٢٦ هجرية بعد اعلان الدستور العثمانى ثم رجع الى مصر حيث أنشأ مدرسة الدعوة والارشاد ، ثم رحل الى سوريا وانتخب رئيسا للمؤتمر السورى ، وبعد دخول الفرنسيين دمشق عاد الى مصر ، وقام بجولة فى الهند والحجاز وأوربا عاد بعدها الى مصر ثانية .

ويعد رشيد رضا بحق من قادة الاصلاح الدينى والاجتماعى الذين أدوا خدمات جليلة للاسلام والمسلمين ..

وتحدث الشيخ مصطفى عبد الرزاق عن رشيد رضا فقال :

أول من ترجم للشيخ محمد عبده وعنى بنشر آثاره هو السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . والسيد رشيد رضا هو أول من لقب الشيخ محمد عبده بالاستاذ الامام ، وهذا اللقب ينبىء بالصورة التى أراد ان يرسمها السيد رشيد لشيخه فيما كتب عنه ، وينبىء بالفكرة السائدة فى وجهة نظر التلميذ الى أستاذه الشيخ محمد عبده عند السيد محمد رشيد رضا امام من أئمة الاسلام له فى الدين مذهب ، يقوم أصحابه على روايته وتدوينه كما قام أصحاب أبى حنيفة والشافعى وغيرهما على ما لأولئك الائمة من مذاهب . واذا كان الشيخ محمد عبده اماما فى الدين ، فالسيد محمد رشيد رضا صاحبه ومفسر مذهبه ومكمله ، وقد بذل منشىء المنار رحمه الله مجهودا فى هذه الناحية ضخما حافلا بالمباحث الدينية والمناقشات الفقهية ، وكان لهذا المجهود أثر غير ضئيل فى طلاب العلوم الدينية ومن اليهم ، وفى توجيه الدراسات الشرعية فى بلاد الاسلام المختلفة .

ويقول الامير شكيب أرسلان أن السيد محمد رشيد رضا قد رغب منذ حداثته فى الجد ، وراقب نفسه فى حياته الخاصة فغذاها بالعلم وحلاها بالاخلاق ، وأدرك بصدق فراسته ان العصر الذى يستقبله عصر اصلاح وايقاظ ، وأن الاسلام بحاجة الى من يقوم بهذا الدور ، وكان يعلم أن بطلى هذا المضمار هما

السيد جمال الدين الافغانى وتلميذه الاستاذ الامام محمد عبده ، فتطلعت نفسه الى ترسم خطاهما وخصوصا بعد أن قرأ مجلة « العروة الوثقى » التى كانا يصدرانها فى باريس سنة ١٨٨٤ . ولقد وقع الاجماع على أن السيد رشيد رضا فى كل ما يتصل بالنضال عن الاسلام وحل مشكلات العصر وتطبيقها على قواعد الشرع كان العالم الفذ المنقطع النظير .

رحمه الله رحمة واسعة وكتب للاسلام النصر والتوفيق .

خرافة مزمنــة

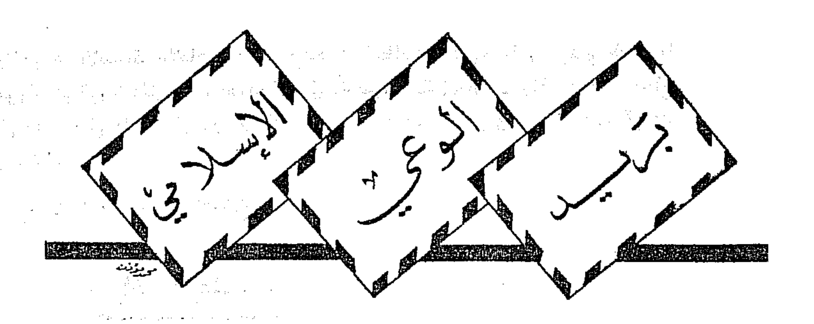
وتلقينا من الشيخ محمد بن سالم البيحانى امام وخطيب جامع العسقـلانى بعدن كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

تحت هذا العنوان قرأت كلمة طيبة فى الكلمة الافتتاحية لمجلة « الوعى الاسلامى » الكويتية فى عددها العشرين ، والكلمة حول خرافة مزمنة عفنة نتنة فى منشور مكذوب به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطالما ظهر هذا المنشور الخبيث المكذوب وعلى لسان الشيخ احمد المزعوم بأنه خادم الحجرة الشريفة ، ولا وجود له فى الخارج ، وانما هو شخصية خيالية ، ولقد اطلعت على محتويات المنشور عدة مرات وهو بالفاظ مختلفة ، وصورته لاول ما ظهر مخالفة لصوره فيما بعد ، وأول ما سمعته وأنا فى الثامنة من عمرى عام ١٣٣٤ هـ وكان ذلك فى بيحان احـدى امارات الجنوب العربي ، وسمعت للناس ضجيجا بالبكاء ، ومن أدعياء العلم من يقرأه على العامة فى المساجد والمجتمعات ، ويخاف منه الرجل والمرأة والكبير والصغير ، ومن لا يصدقه يعدونه كافرا ، ثم ما زال يظهر ويختفى ويجىء كل مرة بأسلوب مغاير لما قبله ، وبقيت أنا مترددا فى أمره ، وبحكم أنى صغير وناشىء فى بيئة متدينة أعد هذا من الايمان بالغيب ، وأصدق ما فيه كما يصدق غيرى من الجهلة والمغفلين ، وكلما تقدم بي السن وعرفت أصول الدين وقواعـده تيقنت أن هذا المنشور دسيسة على الاسلام ، وانه فى الدجل والتضليل لبمكان عظيم من قلوب الجهال والاغبياء والمغفلين ، وشرحت للناس كذبه وان صاحبه مستحق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ولقوله عليه الصلاة والسلام « من أرى عينيه مالم تريا كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وما هو بعاقد » .

نحل بلا شهـد !! ؟

والاستاذ مأمون فـريز جرار المدرس بمدرسة جنين الثانوية للبنين بالاردن يستثير همم العرب والمسلمين فى قصيدة بهذا العنوان يقول فيها:

يا قـــوم أنتـــم رجـــال ليـــس مثلكـــم ... قـوم اذا سرتـــم فـي المسلـك المجـدى
انتـــم هـــداة لهـــذا الكـون فانطلقـــوا ... ولتنشـــروا دعـــوة الاسـلام والرشـــد
اذا اســـتقمتم فـــلا يغـدو كقوتكـــم ... قـــوى . فقوتكـــم كبـــرى بـــلا حـــد
القادسيـــــة تنبينـــا حوادثهـــــا ... عـن قـــوة الكفـــر مهما عز هـــل تجـدى
وبـــدر يا اخوتـــى فـي الدهـــر معجـزة ... تنـــم عـــن نصـــرة الرحمـــن للجنـــد
فهـــل تـــرى سيعـــود الدهـــر ثانيـــة ... لكـــى نحطـــم كيـــد الغاصب الوغـــد
تلكـــم فلسطـــين يا قـــومى تناشدكـــم ... دم الشهيـــد .. وقبـــر الأب .. والجـــد
دنسهـــا بنعـــال الســـوء شرذمـــة ... وكبلوهـــا .. فيـــا للسجـــن والقيـــد
متـــى سننهـــض مـــن نـــوم يخدرنـــا ... متـــى نحطـــم قيـــد الـــذل والسهـــد
هـــى الحـــوادث تنبينـــا بـــذا ولنـــا ... فـــي قـــادم العهـــد اثبـــات لـمـا أســـدى
هبـــوا بنـــى وطنـــى مـــن طـــول خلفكـــم ... فاننـــى كـــدت أنســـى ماضـــى المجـــد ..



لا نصوم تكفيراً عن مخالفة ابينا آدم .

الشجرة التي أكل منها آدم شجرة مثمرة

هل خلقت حواء من ضلع آدم ؟

قرأت فى مجلة اسلامية مقالا بعنوان « عبرة من رمضان الكريم » بقلم محام مسلم معروف جاء فيه : أن يهوديا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذى من أجله فرض الله على الأمة الاسلامية صيام ثلاثين يوما كل عام ، فأجابه الرسول الكريم : بأن ذلك يعود الى أن آدم أبا البشر عليه السلام تناول من ثمرات الشـجرة التى نهاه الله عن الأكل منها ما بقى فى جوفه ثلاثين يوما ، ولهذا فرض الله تعالى الجوع على الأمةالاسلامية هذه المدة كل عام ، وتفضل عليهم سبحانه فأباح لهم تناول الطعام أثناء الليل فى هذه الفترة .. فما نصيب هذا الحديث من الصحة ؟

كما أنني قرأت مقالا للسيد ع.ج.خ جاء فيه أن الشجرة التي أكل منها آدم ليست شجرة من النوع المعروف يعنى شجرة لها ثمر يؤكل ــ وانما هى (شـجرة السلالة البشرية) وأورد فى مقاله شرحا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وقد دعم مقاله بكثير من الآيات القرآنية .

فأى الكاتبين نصدق ؟ صاحب المقال الاول الذى يرى أن الشجرة من الشـجر المعروف المثمر ، أو صاحب المقال الثانى الذى يذهب الى أن الشجرة ليست من نوع الشجر المعروف وانما هى شجرة السلالة البشرية .

أرجو جلاء الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك .

« مطلق الاسمر ــ الكويت ص.ب ١٤٧ »

لا تصدق الا كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والا السنة الصحيحةللرسول

الكريم الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا تقبل الا أقوال العلماء الاعلام الذين يستندون فى آرائهم الى فهم صائب ، او استنباط سديد . مرجعه الى هذين المصدرين العلويين .

والقرآن الكريم جمع الآيات الكريمة التى تتحدث عن الصوم المكتوب على المسلمين فى سـورة واحدة ، وهى الآيات ١٨٣،١٨٤،١٨٥، من سورة البقرة ، وليس فيها ما يدل على أن عدة الصوم المفروض ثلاثون يوما ، بل فيها ما يقطع بان المفروض صوم شهر رمضان الذى يحدد بدءا بهلال رمضان ونهاية بهلال شوال ، وقد تكون عدته ثلاثين يوما وقد تكون تسعا وعشرين ، وكذلك الشأن فى السنة الصحيحة المروية عن سيـد المرسلين وقد فرض صوم رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ، وانتقل الرسول الكريم الى الرفيق الاعلى فى السنة العاشرة ، ومعنى هذا أن رسول الله صام تسع رمضانات وصح أن أكثرها كان ناقصا (تسعا وعشرين يوما) . فالزعم بأن الصوم المفروض ثلاثون يوما قول غير صحيح او فيه تساهل وعدم دقة فى التعبير ، وهذا لا يقبل فى صدد الكلام على الاحكام الشرعية .

بقى الزعم بأن السبب فى تحديد الصوم بهذه الايام هو أن الثمرة أو الثمرات التى أكلها آدم عليه السلام من الشجرة التى نهى عن الاكل منها بقيت فى جوفه ثلاثين يوما ، ومعنى هذا فيما نفهم أنناانكفرعن خطيئة آدم بالصيام هذه المدة ، ونسبة هذا الزعم الى حديث اليهودى الذى نقل الكاتب روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاننا لم نطلع على هذا الحديث فى كتاب من كتب السنة الصحيحة ، ولم نجد فى آيات الصوم ما يشير الى هذا . بل كل ماورد فيها يبين أن الحكمة من الصوم هى تزكيةنفس الصائم، وتنمية خلق المراقبة لله فيه وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة (لعلكم تتقون) فلا علاقة للصوم بأكل آدم من الشجرة ، ولا بالمدة التى هضمت فيها معدة أبينا ما أكله من الثمرات . ولماذا نلزم نحن الامةالاسلامية وحدنا دون أبناء آدم كلهم بالصوم هذه المدة تكفيرا عما أكل ؟ أو أن الامم مثلنا كلفت بصوم هذه العدة من الايام وأن صومها كان مماثلا لصومنا وهذا مالم يقل به مسلم ولا كتابى ولم يرد فى كتاب سـماوى صحيح أو محرف ؟ !!

واعتقد أن فى هذا البيان ما يقنع صاحب الرسالة عما أراد الاستفسار عنه فى المقال الذى طالعه عن العبرة من رمضان .

أما ماطلب الاستفسار عنه من أمر الشجرة وهل هى من الشجر المعروف الذى له ثمر يؤكل ، أو ليس منه ، بل هى من نوع آخر هو شجر السلالة البشرية ـ كما ذكر الكاتب!! ـ فثابت أن هذه الشجرة من أشجار الجنة ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) ولا سبيل الى تحديد نوعها أو تسمية ثمرتها الا وحى الله المنزل على رسله اواخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد ذكر هذه الشجر فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ولم يبين لنا فى آية من هذه الآيات نوع هذه الشجرة ، بل صريح القرآن قاطع بأنها شجرة لها ثمر وأن آدم وحواء أكلا منها فبدت لهما سوآتهما ، ولعل ذلك كان ابتلاء وامتحانا منه تعالى ليظهر به ما فى استعداد الانسان من الميل الى الاشراف على كل شيء واختباره ، او لعله كان فى خاصية هذه الشجر ما هو سبب خروجهما من حال الى حال وكل ماورد عن هذه الشجرة فى بعض كتب التفسير من انها شجرة السنبلة أو الكرم أو التين أو الكافور ـ لم يستند الى مصدر موثوق به .

وكذلك ما نقل عن بعض المفسرين من أن المراد بالشجرة معنى الشر والمخالفة وليست شجرة حقيقية ، وان هذا من قبيل التمثيل كما عبر القرآن الكريم عن حكمة التوحيد بالشجرة الطيبة وعن الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة هذا التأويل صرف للقرآن عن ظاهره دون مبرر ولا سند .

* * *

الفكرة التي تملأ عقولنا وقلوبنا عن خلقة أم البشر حواء أنها خلقت من ضلع من أضلاع أبينا آدم عليه السلام ، فهل لهذه الفكرة ما يؤيدها من الكتاب والسنة ؟ .

(سعدون الشاغورى ـ حمص)

ليس فى القرآن الكريم نص قاطع بأن حواء خلقت من ضلع من أضلاع آدم وأما قوله سبحانه فى فاتحة سورة النساء ((يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)) وقوله تعالى فى سورة الأعراف : ((هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها)) فقد قال غير واحد من المفسرين الذين يعتد بقولهم ان المعنى أن الله خلقها من جنس النفس يعنى من البشر ، وليس المعنى أنه خلقها من جزء منها كما قال تعالى فى سورة الروم ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا)) فان المعنى أن الله خلق لنا أزواجا من جنسنا ، ولا يصح أن يراد أنه خلق كل زوجة من بدن زوجها .

ويبدو أن فكرة خلق المرأة من ضلع تبادرت الى أذهان بعض الناس من فهم الحديث الذى رواه أبو هريرة (استوصوا بالنساء خيرا ، فان المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) وهذا فهم بعيد عن الصواب بدليل قوله فان ذهبت تقيمها كسرته . أى لا تحاولوا تقويم النساء بالشدة . ولهذا مثيل فى الكتاب الكريم قال تعالى : ((خلق الانسـان من عجل)) فليس فى القرآن الكريم ولا فى السـنة النبوية الصحيحة ما يؤيد هذه الفكرة السائدة التي ساعد على رواجها وانتشارها الاسرائيليات التي ابتلى بها المسلمون وما ورد فى التوراة من أن الله تعالى ألقى على آدم سباتا انتزع فى أثنائه ضلعا من أضلاعه ، فخلق له منه حواء امرأته ، وانها سميت امرأة لأنها من امرىء أخذت .

جهد مشكور

الأستاذ الفاضل احسان النمر من نابلس يعطى هذه المجلة من اعجابه وعنايته وتشجيعه وجهده ما يحمد عليه . فهو لاعجابه بها يعمل على شراء كميات كبيرة منها على نفقته ويوزعها على من لم يطلع عليها ، ويكتب الى وزارة التربية الأردنية لتشترك فيها ، وتتيح للطلاب فرصة الاطلاع عليها .

وفى الحق أن نشاطه من أجل هذه المجلة شىء يستحق عليه كل الشكر ، وهو أمر قد يبدو غريبا ولكنه يقول فى رسالته لنا : ربما تستغربون قيامى بهذا العمل ولكن اذا علمتم أننى كنت أقوم بنفقات جمعية الهداية الاسلامية بنابلس واننى أخصص مبلغا سنويا للخدمات والأعمال الاسلامية يزول استغرابكم . والآن رأيت أن توزيع هذه المجلة أفضل ما يمكن عمله للاسلام والمسلمين ، وعليه أرجو أن تتفهموا فكرتى وتعملوا على انجاحها ..

وفكرة الأستاذ احسان هى أن نبعث له من هنا وعلى نفقته بخمسين نسخة ابتداء ليقوم باهدائها للقراء الذين يعرفهم لأنه يجد صعوبة كبيرة فى الحصول على ما يريد من متعهدى التوزيع عنده اذ رد عليه مدير عام وكالة التوزيع الأردنية بقوله له : ليس لدينا فى الوقت الحاضر أى كمية متوفرة من مجلة ((الوعى الاسلامي)) تغطى طلبكم خمسين نسخة .. وتاريخ الخطاب ١٩٦٦/١٢/١٢ ثم تعهد بأن يوفر له طلبه ابتداء من العدد القادم .

ونحن نرجو أن تكون الوكالة الأردنية قد برت بوعدها للأستاذ احسان وأن توفر له ما يريد باستمرار دون أن يتعب ويرسل لها الرسل والخطابات المتكررة ، والا تولينا نحن ارسال ما يريده مهما تكن كميته ...

ونعود فنكرر الشكر للأستاذ احسان على ما بذله ويبذله فى سبيل دينه وأمته . جزاه الله خيرا وأكثر من أمثاله العاملين ...



تناولت مجلة دعوة الحق المغربية نظام الاوقاف الاسلامية فى عهد الدولة العلوية فقالت :

لاجدادنا رحمهم الله ـ مبرات بالانسانية فى مختلف مظاهرها ، وفى مقدمتها انهم وقفوا اوقافا كثيرةعلىجميع شؤون الدين ـ فالمدرسون والطلبة، والخطباء والوعاظوالائمة ، والمؤذنون وقراء القرآن والاحزاب صباح مساء والقيمون على التنظيف والفرش ، وما الى هذا من مرافق تساعد على أداء طقوس العبادةفى سهولة ويسر كل ذلك له حظهالاوفر من ثروة الاجداد المحبسةتسندهوتمده ـ ففى كل ناحية من مدن المغرب وقراه تجدمبرة من مبرات الجدود ـ بالدين ومايرجع الى الدينفكانوا نماذج تحتذى فى باب الاحسان الى الضعفاء والمساكين فاحباس الكسوة صيفا وشتاء ، والاطعاميوميا وأسبوعيا وافرة فى مغربنا الكريم ، أضف الى هذا الملاجىء التى أحدثوها فى غير ما جهة من جهاتهخاصة بضعفاء الابدان وضعفاء العقول والعتهاء مجهزة مزودة بالأوقاف الكافية حتى لا تقف وتتعطلفائدتها فى ظرف ما .

ومثل هذا يقال ـ فى القلاع والحصون والابراجوخصوصا فى الثغور ـ فقد أسسوا معاقل لحراسة الأراضى الاسلامية وصد كل من يرومها بسوء متكلفينبامداد القائمين بها بالاحباس المقتطعة من أموالهم الخاصة حتى أنهم تجاوزوا مبرة الاحسان بالانسانالى الاحسان بالحيوان والرفق به ـ فعندنا وقف من أسلافنا خاص بمداواة اللقلق ((بلاج)) ومعالجته عندما تصيبه آفة ، لتصغ الآن ((جمعية الرفق بالحيوان)) لهذه المزية التى سبق اليها أجدادنا قبل أن يدورذلك بخلد أبنائها بل وهى لا تزال فى العدم بعد قرون .

ابن تيمية

ومن صحيفة الدعوة التى تصدر بالرياض نقتطفالفقرة التالية من مقال عن شيخ الاسلام ابن تيمية :

كان ابن تيمية فى النصف من عمره سراجا وهاجا أطفأ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر من القضاة والعلماء وعبثا حاول بعض حساده أن يسلموه للعامةعلهم يقتلوه ، فما استطاعوا أكثر من حجز حريته أشهرا فى سجن ، وكان الملوك يحمونه من تعصبخصومه ويعرفون قدره .

وكان الملك الناصر صاحب مصر يرفع من مقامابن تيمية كثيرا ، وأراد أن يقتل من افتوا بخلعه من العلماء وحثه على أن يفتيه فى قتل بعضهم ، فأنكر أنينال أحدا منهم بسوء وقال له : اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم فقال له : أنهم آذوك وأرادوا قتلكمرارا فقال الشيخ من آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، أنا لا انتصر لنفسى ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح .

وكان قاضى المالكية ابن مخلوف يقول : ما رأينا مثلابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا .

رحم الله ابن تيمية فقد عمل وجاهد لنشر الدينوالقضاء على البدع بقلبه ولسانه وقلمه .

الثقافة .. وتطوير المجتمع العربى

وكتبت صحيفة الثورة العراقية تحت هذاالعنوانتقول :

اتخذ مجلس اتحاد الجامعات العربية من بينالقرارات والتوصيات التى اتخذها فى جلستهالختامية قرارا نص على أن تستهدف الدراسة اعداد المواطنالمثقف المتخصص ، وتطوير المناهج الدراسية بحيث

تتماشى مع احتياجات المجتمع ، وتطوير محتوى موضوع المجتمع العربى ليكشف عن تكوين المجتمع العربى الحديث ومشاكله وامكاناته .. والواقع ان معاهدالدراسة العلمية والجامعات فى الوطن العربى يجبأن تكون مركزا للبحث العلمى والدراسة العلميةلمشاكل المجتمع العربى وعلله وأوجاعه ينصب اهتمامهاأساسا على دراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والفنيةووضع الحلول الصائبة لها على أساس من الوعى والعلم والفهم العميق ، فلا ينبغى أنتنفصل الدراسةالعلمية فى هذه المرحلة من حياة المجتمع العربى ، عن الواقع العربى ، وحياة المجتمع . أو أن تنفصلالدراسة العلمية عن الحياة العامة وتتقوقع وتنطوى على نفسها فتصبح الدراسة العلمية لذات الدراسةفحسب ، ويصبح العلم غاية ووسيلة بينما يجب أن يكون العلم وسيلة لغاية أهم واكبر هى مهمة خلقالمجتمع العربى الجديد المتطور السليم القائم على أسس قوية ، ودعائم ثابتة راسخة ، فربط العلمبمشاكل المجتمع وتطوير حياتهوواقعه وتجديدها ينبغى أن تكون غاية كل المعاهد العلمية فى الوطن العربى ،فلاشىء أمضىمن العلم سلاحا نحاربه التخلف والتجزئة وكل العلل والادواء والمشاكل التى نعانى منها .. ولا شىء كالعلم أساسا نبنى عليه حياتنا الجديدة وندفع قافلة تطورنا ونهضتنا العربية من هنا فان هذا القرار الذى أتخذه مجلس الجامعات العربية يعتبر قرارا خطيرا ينطوى على معان كبيرة واسعة ، لها أشد الارتباط بقضايانا القومية ، وعلى المعاهد العلمية فى الوطن العربى ان تلتزم بهذا القرار وتوليه ما يستحقهمن الاهمية ، وتعمل على تطبيقه ، ليكون أساسا لتكوين المواطن العربى المثقف الواعى ، ولخلق المجتمع المتحرر الجديد القادر على الابداع والخلق والانطلاق فى دروب النهوض والتقدم .

القصة الكاملة لمسجد لندن

ونشرت صحيفة المنار الاردنية التطورات التىمر بها مشروع انشاء مسجد لندن والعقبات التى تواجهه فتقول :

تحدثت مجلة الاذاعة البريطانية ((هنا لندن))عن بناء جامع لندن ، وقالت هذه المجلة انه قد سبق وأرسى حجر الاساس لبناء هذا المسجد فى شهر شوال ١٣٧٣هـ ٣ حزيران عام ١٩٥٤ ، فى بقعة من أجملبقاع العاصمة البريطانية فى الطرف الجنوبى من منتزه ريجنت ، وقالت المجلة أما العائق فى اخراج هذا الجامع الى حيز الوجود حتى الان ، فيعود الى عدة عواملمهمة من ضمنها عدم توفر المال اللازم من جهة ، وعدم التوصل الى قرار جامع بشأن طراز البناء من جهةأخرى ، وأضافت المجلة أنه تم فى المدة الاخيرة تعيين لجنة هندسية ثلاثيةبرئاسة البرفسور ((السير روبرتماثيو)) أستاذ الهندسة بجامعة أدنبرة ، وعضوية كل من المهندسين الدوليين السنيور ((لويس بلانكوسوليير)) الاسبانى و ((ن أ أحد)) الباكستانى وذلك للاشراف على مسابقة دولية لوضع التصميمات الهندسية لهذا الجامع الذى تقدر تكاليفه بنحو مليون جنيه استرلينى جمع حتى الان منها (٢٥٠،٠٠٠) جنيه .

هذا ما ذكرته مجلة ((هنا لندن)) عن هذاالجامع ، والواقع يخالف الى حد كبير هذه الرواية ، فقد منحت حكومة لندن قطعة الارض هذه للمسلمينفى مقابل قطعة أرض فى القاهرة لاقامة كنيسة عليها ، وفعلا تم بناء الكنيسة كما خطط له فى حينه ،أما قطعة الارض التى منحت للمسلمين فلا تزال كما هى رغم ارساء حجر الاساس منذ عام ١٩٥٤ وعلى الرغممن أن المخططات جاهزة ، فمنذ ذلك الوقت وبلدية لندن تسوف وتماطل فى اعطاء رخصة البناء بحجة انهلا يلائم التنظيم الموضوع ، اما من ناحية المبلغ المرصود، فانه من السهل جمع بقية المبلغ ، لو بدرت من بلديةلندن بادرة مخلصة للترخيص بالبناء ، اما قصة اللجنة الهندسية الثلاثية ، فقد بادرت البلدية الىتاليفها بعد أن هددت الجاليات الاسلامية بالقيام بمظاهرة سلمية ضد تسويف بلدية لندن فى اعطاءالترخيص .

وتبرز ضرورة بناء هذا المسجد للجاليات الكبيرةوالوف الافراد المسلمين الذين يؤدون الفريضة الان فى العراء ، وأحيانا تحت المطر من سماء لندن الذى لا تكف عن انزال المطر .

مكتبة المجلة

قاموس قرآني

كتاب من جمع وتأليف الاستاذ حسن محمد موسى وهو معجم دقيق للالفاظ وتفسير سديد للآيات وعرض شيق للصور البيانية ، وضع في مجموعات متناسقة لتيسير ماخذ القرآن وتفسير بعضه ببعض .

وقد بذل المؤلف فيه جهدا كريما فجاءت فصوله نافعة غاية النفع حتى يمكن أن تعد هذه الفصول قاموسا يرجع اليه من يتوقف في فهم كلمة أو جملة أو صورة بيانية .

والكتاب يحتوى على ثلاثة أبواب خص الاول منها لتعريف القارىء ببعض علوم القرآن والمباحث اللغوية حتى يعينه على الفهم والثاني والثالث لبيان الآيات التي قد يلتبس فهمها وهو خلاصة لعشرات المجلدات التي وضعت في التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة (ومحاولة جديدة لتقريب معاني القرآن الكريم وتيسير ماخذه على القارىء).

وفيه غناء للكثيرين عن الموسوعات التي يشق استيعابها عليهم أو يضيق عنها وقتهم .

وهو يقع في (٥٠٠) صفحة طبع بمطبعة خليل ابراهيم في الاسكندرية .ج ٠ع ٠م وثمنه (٧٥) قرشا مصريا .

الامة الانسانية

ان صح أن هناك على ظهر هذا الكوكب الارض أمة واحدة بالمعنى الاصطلاحي فان هذه الامة هي الامة الانسانية . فهي وحدها التي يمكن أن يقال انها تعيش في بيئة جغرافية واحدة هي هذا الكوكب الارضي ، وهي وحدها المؤلفة من جنس واحد يعود الى أصل واحد . وهي وحدها التي يتكلم أبناؤها لغة انسانية واحدة هي لغة الفكر والعقل الانساني وان اختلفت طرق التعبير . وهي وحدها التي يمكن أن توصف بأن لها تاريخا واحدا مشتركا هو تاريخ الانسانية في مجموعها . وهي وحدها التي أصبح مصيرها واحدا فاما بقاء واما فناء ، واذا كان هذا القول يبدو عاما ومجملا فان شرحه وتفصيله العلمي هو ما جاء في كتاب ((الامة الانسانية)) الكتاب السابع عشر في مؤلفات الاستاذ احمد حسين الذى وضع فيه ذوب حياته وعصير تجربته وصرخة روحه لعالم مضطرب مهدد بالكوارث والفناء محاولا ان يجعل من كتابه تجربة ليعيش هذا العالم في تعاون ومحبة وسلام .

والكتاب يقع في (٤٨٠) صفحة كبيرة وقامت بطبعه المطبعة العالمية (١٧/شارع ضريح سعد في القاهرة بالجمهورية العربية المتحدة) وثمنه ثمانون قرشا مصريا .

الهداية

كتاب للصفوف الثانوية في خمسة أجزاء كل جزء مقسم الى فصول أربعة هي العقائد والسيرة والتهذيب والعبادات مع قصص دينية مناسبة في تعبير سهل وأسلوب بسيط يتلاءم مع المستوى اللغوى والعقلي للطالب وهذه الكتب بمطابع دار ((مكتبة الحياة)) ببيروت — لبنان وهي من تأليف الاستاذ محمد حمد خضر وكل كتاب يقع في ١١٢ صفحة .

الفجر الزاحف

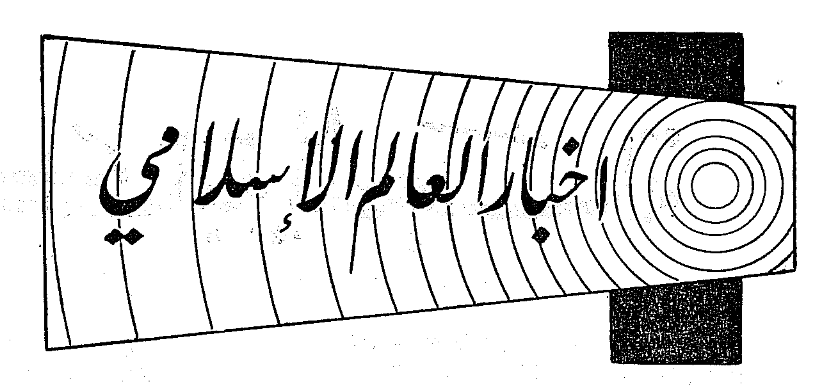
ديوان شعر للاستاذ الشاعر عبد الله محمد الطائي المشرف على مجلة الكويت وهو مجموعة من القصائد الوطنية التي تتعلق بالقضية العمانية .

وقد كتب الشاعر قصائده بمداد من ليل الالم المخيم ، وفجر النصر المرتقب ، ايمانا بقدرة مواطنيه في عمان على محو الظلم والظلام .

والديوان يقع في مائة صفحة وقامت بطبعه مطبعة الضاد بحلب — سوريا .

الحب والحياة

للشاعر ابراهيم محمد نجا الفائز بجائزة الشعر الاولى من مجمع اللغة العربية بالقاهرة والديوان يقع في ٢٢٤ صفحة ويحتوى على تسع وعشرين قصيدة وهو من منشورات دار الاداب بيروت — لبنان .



الكويت

***قرر مجلس الوزراء تأييد سوريا والعراق فى موقفهما من شركة نفط العراق .**

***انتهت مدة مجلس الامة الكويتي وكانت آخر جلسة له يوم الثلاثاء ٣ يناير الجارى ، هذا وستجرى الانتخابات للمجلس الجديديوم ٢٥ على أن يجتمع يوم ٢٨ منه .**

*** تجرى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اتصالا مع رجال الفكر الاسلامى للاشتراك فى الموسم الثقافى الثانى الذى تقيمه الوزارة فى شهر فبراير سنة ١٩٦٧ .**

* أعلن معالى وزير التربية خالد المسعود أنه تم تشكيل لجنة تحضيرية لانشاء كلية للقانون والشريعة وكلية للتجارة فى جامعة الكويت فى العام ١٩٦٧/١٩٦٨م .

* زار الكويت الحاج عبد الله ابراهيم ايناس على رأس وفد لجمع التبرعات للمسجد الكبير الذى تجرى اقامته بالسنغال .

* صرف الجزء الاول من نفقات انشاء مدينة الحجاج الكويتيين في مكة والمدينة .

* وصل الكويت السيد نور الحق الندوى عميد كلية العلوم الدينية فى جامعة بشاور فى الباكستان وسيقوم بمباحثات مع المسئولين بوزارة التربية حول المناهج الدينية التى تدرس فى مدارس الكويت .

* تم تحويل ربع مليون جنيه استرلينى لانشاء كلية العلوم بالجزائر

* كما تم تحويل القسط الثانى من منحة الكويت الى الجامعة الاردنية .

* قررت وزارة الشئون الاجتماعية والعمل افتتاح بيت الشباب فى ١٩٦٧/١/١٨ الذى أعد بالفعل ليستوعب حوالى خمسين شابا حاليا على ان يتم توسيعه مستقبلا . وقد تم اعداد هـذا البيت وفـق أحدث بيوت الشباب فى العالم

القاهرة

* تقرر اتاحة الفرصة هذا العام لكبار السن وآباء وأمهات الشهداء لاداء فريضة الحج على أن تكون لهم الاولوية كما تقرر السماح بمرافقين لكبار السن .

* تقررت الموافقة على طلب الحكومة التركية ايفاد اساتذة متخصصين فى الفقه الاسلامى والتفسير والحديث وتاريخ العقائد للتدريس فى بعض المعاهد الاسلامية التركية .

* أوفدت الجمهورية العربية الى كوالمبور الشيخ محمود الحصرى والشيخ محمود عبد الحكيم ليتولوا التحكيم فى المسابقة الدولية التى اعتادت ماليزيا اقامتها كل عام لتلاوة القرآن الكريم وحفظه يومى ٣١ ديسمبر واول يناير والتى اشتركت فيها ١٢ دولة اسلامية .

* استقبل فضيلة شيخ الجامع الازهر سفير موريتانيا فى القاهرة ودار البحث حول شئون المسلمين هناك والتوسع فى المنح الدراسية .

* تقرر ايفاد ستة من القراء الى ماليزيا لتدريب الاهالى على قراءة القرآن الكريم .

* اجتمع وزير الارشاد بسعادة الشيخ جابر العلى السالم وزير الارشاد والانباء الكويتي لبحث تنسيق سياسة الاعلام المشتركة بين البلدين .

* بحث وزير الارشاد والانباء الكويتي مع السيد الامين العام للجامعة العربية العقبات التى تعرقل تنفيذ قرارات مؤتمر وزراء الاعلام العربى .

السعودية

* اكتشف فى شمال السعودية مدينة أثرية كاملة كما عثر فى خرائب المدينة على محتويات دقيقةالصنع تكثر فيها التماثيل للحيوانات المائية التى يبدو منها أن سكان هذه المدينة كانوا من الوثنيين .
* احتفل فى (أبيار على) بالقرب من المدينة المنورة ببدء العمل فى مشروع انشاء طريق جديد بين المدينة المنورة وجدة تيسيرا لوفود بيت الله الحرام .
* وجه وزير المعارف ورئيس جمعية الكشافة فى السعودية الدعوة الى الكويت للاشتراك فى معسكر تجمع جوالة البلاد العربية والاسلامية الذى سيقام بمدينة مكة المكرمة فى الفترة الواقعة مابين ١٣ ، ٢٨ مارس سنة ١٩٦٧ .

بغداد

* زار بغداد السيد جبرائيل شفيع رئيس مجلس الامة ورئيس مجلس الاتحاد الاسلامى فى توجو على رأس وفد ضمن جولة فى الكويت والسعودية تستهدف تدعيم العلاقات بين توجو والبلاد الاسلامية .
* تقرر مقاطعة مؤتمر المحامين الدولى الذى سيعقد فى ليبريا خلال شهر يوليو القادم بسبب تمثيل العصابات الصهيونية .
* عقد اجتماع بالموصل حضره علماء الدين لتشجيع قراءة القرآن وتجويده ، وقد تقرر انشاء رابطة للقراء فى الموصل .
* تلقى الرئيس عبد الرحمن عارف رسالة من الملا مصطفى البرزانى يجدد فيها الولاء والاخلاص لقيادة الرئيس عارف .

دمشق

= من بين القرارات التى اتخذت فى مؤتمر المعلمين الذى عقد بدمشق توحيد المناهج التعليمية فى مدارس البلدان العربية .

= اعتدت اسرائيل على الرعاة العرب فى سوريا وردت القوات السورية عليها وصدرت اليهـا الاوامر برد كل اعتداء عليها فى داخل الاراضى الاسرائيلية نفسها .

السودان

= تمت التحقيقات مع القائمين بالحركة الانقلابية الفاشلة فى السودان تمهيدا لمحاكمتهم .

الاردن

= يفكر المسئولون فى اقامة مدينة سكنية للحجاج الاردنيين فى مكة المكرمة .

الجزائر

= قررت الحكومة الجزائرية دمج عـدة بنوك فرنسية فى بنك وطنى واحـد سمته مصرف الشعب الجزائرى جريا على سياسة تدعيم الاقتصاد الجزائرى .

وقعت الحكومة مع الامم المتحدة اتفاقية خاصة بمساعدة الجزائر فى مكافحة الامية بانشاء عدة مراكز فى المدن الهامة لهذا الغرض .

الغت الجزائر المزايا الممنوحة للرعايا الفرنسيين فى سفرهم للجزائر ردا على ما اتخذته فرنسـا تجاه الجزائرين المقيميين فى فرنسا .

لبنـــان

= أعلن السيد رشيد كرامى رئيس الوزراء تأييد لبنان لسوريا فى موقفها من شركة نفط العراق وقال ان لبنان حصلت على مكتوب من الشركة بزيادة حصتها فى الارباح كما تريد سوريا .

تم انتخاب فضيلة الشيخ حسن خالد مفتيا للبنان بالتزكية بعد أن تنازل منافسه واقيمت الاحتفالات الرسمية المعتادة بذلك .

تركيا

= قدم وزير الخارجية التركية الى البرلمان مشروعا يقضى بتحريم استخدام القواعـد الامريكية ضد دول المنطقة

= بدأت دار النشر (سوتمز) فى تركيا بكتابة ترجمة جديدة للقرآن الكريم .

= اشتركت تركيا فى المباراة الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى أقيمت فى ماليزيا

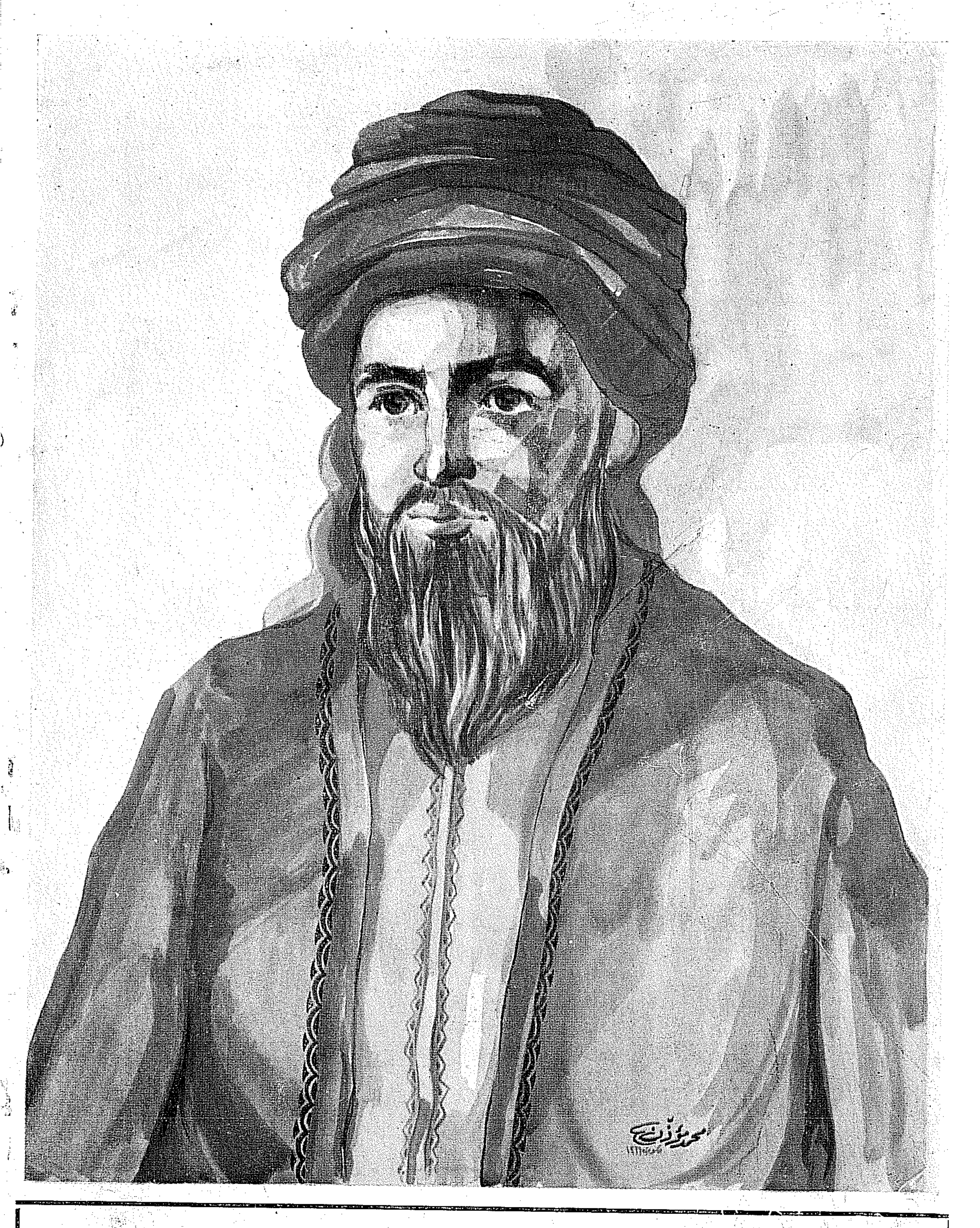
اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص.ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢
جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص.ب ٦٣٥
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى ص.ب : ٣٠٣
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الفيلسوف الفقيه ابن رشد كما تخيله الرسام

طالع مقالة المنشور فى هذا العدد